جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
عتيقة سيفي
صدرو بلخضر

يوم: 2020/09/06

جماليات فن الترسل في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري

لجنة المناقشة:

د. سميحة كلفالي	أ. محاضر	جامعة بسكرة	رئيس
د. ابتسام دهينة	أ. محاضر	جامعة بسكرة	مشرف
د. نسيمة قــط	أ. محاضر	جامعة بسكرة	مناقش

السنة الجامعية : 2020/2019

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالب:
عتيقة سيفي
صدرو بلخضر

يوم: 2020/00/00

جماليات فن الترسل في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري

لجنة المناقشة:

د. سميحة كلفالي	أ. محاضر	جامعة بسكرة	رئيس
د. ابتسام دهينة	أ. محاضر	جامعة بسكرة	مشرف
د. نسيمة قـــط	أ. محاضر	جامعة بسكرة	مناقش

السنة الجامعية : 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحیم

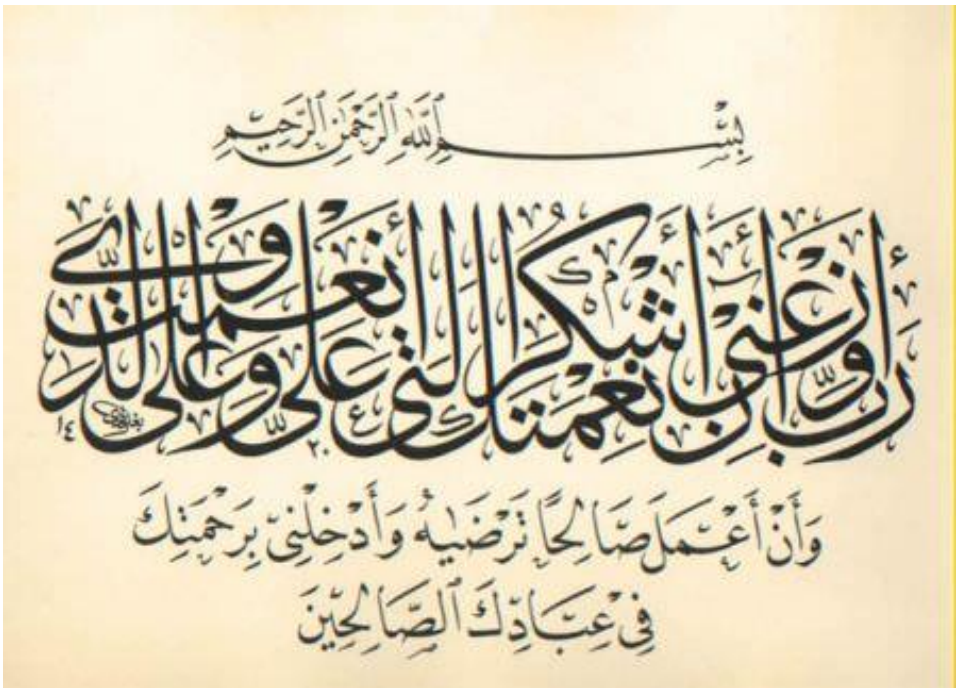

سورة النمل / الآية 19

شكر وعرفان

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بخالص شكرنا

لأستاذتنا المشرفة

الدكتـورة: ابتســام دهينــة

التي لولا ملاحظاتها وتوجيهاتها

لما كان هذا البحث بهذه الصورة.

مقدمة

أدب الرسائل لون من ألوان النثر الفني الجميل وضرب من ضروبه، ويعد من أبرز الفنون التي ظهرت في البيئة الأندلسية، وعرف تطورا كبيرا في القرن الخامس الهجري، حيث تشعبت موضوعاته واتجاهاته وأغراضه تبعا لتشعب أمور الحياة في المجتمع الأندلسي، وكان انعكاسا للبيئة آنذاك بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية والطبيعية. وقد اقتحم فن الترسل على الشعر ميدانه وشاركه في أغراضه وساهم في بعثه فأخذ الشعراء الأندلسيون من قصائدهم رسائل تحمل همومهم وقضاياهم وتطلعاتهم.

وقد استطاع شعراء الأندلس في القرن الخامس الهجري أن يحددوا ملامح فن الترسل غير نثري وإنما شعري بالدرجة الأولى، وإثبات خصائصه بفضل تفننهم وإبداعهم في رسائلهم الشعرية التي تميزت بمستوى فني رفيع أثبت قدرتهم وبراعتهم. وهذا ما جعلنا نتناول هذا الموضوع وذلك بتبيان جمالياته في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري لنبين كيف بنيت وهيكلت الرسائل الشعرية، وفيم تكمن قيمها الجمالية من خلال توظيف الصورة الشعرية؟ وقد وقع اختيارنا لهذا الموضوع لجدته ولم يسبق للدراسة، كذلك للتعرف على خصائص الرسائل الشعرية الاندلسية في القرن الخامس الهجري.

وقد ارتأينا أن هذا البحث يسير وفق المنهج الوصفي وما يترتب عنه من آليات كالتحليل من أبجديات هذه الدراسة للوصول إلى تبيان جمالية هذا الفن في مجال الشعر الأندلسي على وجه الخصوص.

وككل دراسة لا يستقيم البحث إلا بخطة منسجمة، فكانت تمفصلات البحث على النحو الآتي: مقدمة وفصلين وخاتمة:

الأول نظري: يبحث في ماهية ونشأة فن الترسل في الأدب العربي، وبداياته في الشعر الأندلسي، وأهم خصائص بنائه وجمالياته.

أما الفصل الثاني فتطبيقي: يبحث في جماليات الصورة في شعر الترسل الأندلسي، وقد قسمناه إلى ثلاث عناصر، العنصر الأول بناء الرسالة وهيكلتها، وقد تناولنا نموذجين، الأول يتمثل في قصيدة "**أضحى التنائي**" لابن زيدون، والثاني قصيدة ""**الجبــل**" لابن خفاجة، أما العنصر الثاني يتضمن موضوعات الرسائل الشعرية وأغراضها.

والعنصر الثالث فقد تناولنا فيه دراسة الصورة الشعرية في الرسائل الأندلسية والتي تطرقنا فيها إلى التكرار والمحسنات البديعية من جناس وطباق ومساهمتها في خلق الإيقاع الموسيقي للنص.

ثم انتقلنا إلى الصور البيانية من استعارة وكناية، كما تطرقنا إلى دراسة ظاهرة التناص في عدة نماذج شعرية لبعض الشعراء القدامى، ومع القرآن الكريم.

وقد أنهينا هذا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها. وقد نهل البحث من معين جملة من المصادر والمراجع نذكر منها:

- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ل: ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني
- الأدب الأندلسي ل: سامي يوسف أبو زيد.
- قراءات في الشعر الأندلسي ل: صلاح جرار.
- ادب الرسائل في الاندلس في القرن الخامس الهجري ل: فايز عبد النبي فلاح القيسي
- الرسائل الشعرية في الاندلس في القرن الخامس الهجري ل: سعاد عبد الله أبو ركب.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا نذكر أهمها:

- اتساع الدراسة وتشبعها واستعصائها على الحصر والاختصار ولذا التزمنا ذكر الأهم.

وفي الأخير نحمد الله ونشكره إنه خير معين، على تمام البحث على أمل التصويب والسداد.

والله نسأل التوفيق

الفصـــل الأول

ماهية ونشأة فن الترسل في الأدب العربي
وبداياته في الشعر الأندلسي

أولا: مفهوم الترسل

ثانيا: نشأة فن الترسل وتطوره

1. نشأته

2. تطور أدب الرسائل

ثالثا: الرسالة وخصائصها البنائية

رابعا: بدايات فن الترسل في الشعر الأندلسي

خامسا: عناصر الرسالة

سادسا: موضوعات فن الترسل

يعد فن الترسل من أهم فنون الأدب العربي، التي أولاها الأندلسيون اهتماما كبيرا، لما له من أهمية بالغة في المجتمع، فقد أبدعوا فيه وطوروه، وألفوا فيه العديد من الدواوين، رغم الظروف الصعبة التي مرّت بها الأندلس في تلك الحقبة، ولكن قبل سبر أغوار هذا الفن، لابد من ضبط مفهومه.

أولا: مفهوم الترسل:

أ- الترسل لغة:

مشتق من كلمة رسل، ويتفرع من هذا الجذر (ر س ل) ألفاظ مختلفة المعاني والدلالات، إذ جاء في لسان العرب: رسل: الرِّسل من الإبل والغنم ما بين عشر إلى خمس وعشرين، وفي الحديث: إني لكم فرط على الحوض وأنه سيؤتى بكم رسلا فترهقون عني أي فراقا، وجاءت الخيل أرسالا أي قطيعا قطيعا.

وأرسله مراسلة، فهو مراسل ورسيل. والرسالة والرسلة: الرفق والتؤدة، قال صخر الغي ويئس من أصحابه أو يلحقوا به، وأحدق به أعداؤه وأيقن بالقتل فقال: لو أن حولي من قريم رجلا، لمنحوني نجدة أو رسلا. أي لمنعوني بقتال، وهي النجدة، أو بغير قتال، وهي الرّسل.[1]

قال ابن جني: الترسل في الكلام، التوقر والتفهم والترفق من غير أن يرفع صوته شديدا.
والترسل في الركوب، أي يبسط رجليه على الدابة حتى يرخي ثيابه على رجليه حتى يغشيهما.
والإرسال: التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم الرِّسالة والرَّسالة والرسول والرسيل الأخيرة عن ثعلب وأنشد:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم

بليلى، ولا أرسلتهم برسيل.

والرّسول: بمعنى الرّسالة، يؤنث ويذكر فمن أتت جمعه أرسلا.[2]
قال الشاعر: لقد أتتها أرسلي.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، المجلد 11، بيروت، حرف "ل"، ص.273

[2] ينظر: المرجع نفسه، (مادة رسل)، ص.275 .

ويقال هي رسولك، وتراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض.

والرّسول: الرسالة والمرسل، وأنشد الجوهري في الرسول الرسالة للأسعر الجعفي:

ألا أبْلغ أَبا عُمر رسُولا،

بِأني فَتاحُتكمْ غبيّ.

عن فتاحتكم أَي حُكمُكُمْ.

وأرسل الشيء أطلقه وأهمله، وقوله عزّ وجلّ: "**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** " الآية 83 من سورة مريم.

قال الزجاجي في قوله أرسلنا وجهان: أحدهما أنا خلينا الشياطين وغياهم فلم نعصمهم من القبول منهم. قال: والوجه الثاني: وهو المختار، أنهم أرسلوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم.[1]

أما صاحب (مختار الصحاح) فيقول: راسله مراسلة فهو مراسل ورسل، وارسله في رسالة فهو مرسل ورسول، والجمع رُسْل (بتسكين السين) والرّسولة أيضا الرسالة.[2]

أما في المعجم الوسيط فقد جاء: رسل الشعر: كان طويلا مستقيما غير متجعد. رسّل القارئ قراءته: أي تمهل فيها ورتلها دون عجلة وحقق بلا عجلة. وفي الحديث: حديث شريف كان في علامه ترسيلا.

الرّسْلُ الذي فيه لين واسترخاء. يقال: شعر رسل، مسترسل، وبغير رسل: سهل. الرّسل: الجارية الصغيرة التي لا تختمر.[3]

يتبين مما تقدم أن مادة رسل تجتمع في معنى واحد وهو الدلالة على الانبعاث والانبساط والتتبع مع الرفق والتمهل والتأني.

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص.221 – 285

[2] محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، قسم المعاجم والقواميس، لبنان، ص247.

[3] ابراهيم مصطفى وآخرون (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، المعجم الوسيط، القاهرة، مصر، ط5، ص 344.

ب- الترسل اصطلاحا:

يبدو واضحا من التعريف اللغوي أن الترسل يدل على من أصبحت الكتابة حرفة له، أو هو على اقتراب منها، ومن جهة أخرى فإن المرسل هو من اشترك في المراسلة مع آخر يكون بعيدا أو غائبا عنه. إن الترسل أو المراسلة أو المكاتبة ألفاظ مترادفة، إذ أنها جميعا تدل على معنى واحد وهو التخاطب بالكتابة أو بلسان القلم.[1]

والترسل هو ما يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل، قد تكون رسمية أو إخوانية، أو أدبية تصدر من كاتب يحاول أن يبسط من خلالها ما يدور على شكل أفكار متتابعة يترجمها لكلمات يؤلف بينها لتكون جملا وفقرات بأسلوب فيه تؤدة وسهولة ورفق من المرسل إلى المرسل إليه.[2] ومنهم من يقول: "الترسل من المصطلحات الأدبية المولدة، ويراد به كتابة الرسائل"[3]، وهو مخاطبة الغائب بلسان القلم حبا وشوقا واعتذارا وشكرا ونصيحة ومشورة وعيادة وتهاني وتعازي وتأنيبا وتنصلا وتبرؤا، ...الخ.[4]

ويعني الترسل في معناه الاصطلاحي قديما كتابة الإنشاء، وفي ذلك يقول القلقشندي: "فأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام، وترتيب المعاني من المكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والمدن والأمانات والأيمان وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها."[5]

الترسل إذن هو: **تأليف الكلام** و **وترتيب المعاني**

[1] الطاهر محمد توات: أدب الرسائل في المغرب العربي، دط، 1993، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص.69-70

[2] علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، د.ط، المكتبة المركزية، غزة، 1981، ص.221.

[3] المرجع نفسه، ص.222.

[4] سليم حمدان، أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي (دراسة في ضوء اللسانيات التداولية)، رسالة لنيل درجة الماجستير، المشرف (محمد بوعمامة) جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009، ص.11.

[5] القشقندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، دط، 1992، ج1، ص.14

ويقول أيضا: "الرسائل جمع رسالة والمراد بها أمور يرتبها الكاتب من حكاية عدوّ أو صديق أو مدح أو تقريظ أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك، مما يجري هذا المجرى، وسميت رسائل من حيث أن الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره مخبرا فيها بصورة الحال، مفتتحة بما تفتتح به المكاتبات ثم توسع فافتتحت بالخطب وغيرها، ..." [1]

ويعني الترسل كذلك إنشاء المراسلات على الخصوص، وذلك لأنه يراد به أحوال الكاتب والمكتوب إليه، من حيث الأدب والمصطلحات الخاصة لكل فئة، ويتغير بتغير العصور. كما يشمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب، لأن جميعها يعتمد على التوجيه الذي يكون من مرسل إلى مرسل إليه متضمنا مواضيع متنوعة.[2]

كما يرى عمر عروة: "بأن الترسل هو كلام يراسل به من بعد أو غاب فاشتق له اسم الترسل، ولذلك فهو يشتمل على مكاتبات الملوك في مهمات الدين وإصلاح الأحوال وبيعات الخلفاء وعهودهم."[3]

ومن هذه التعاريف يتبين لنا أن فن الترسل فن قائم بذاته، له أصول وقواعد يعرف بها. وهذا ما تحدث عنه ابن خلدون في مقدمته، حينما ذكر الصفات والسمات الخلقية التي يجب أن يتحلى بها الكاتب وذلك في قوله: "واعلم أن صاحب هذه الخطبة لابد أن يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك، مع ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل مع ما يضطر إليه الترسل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها."[4]

[1] المرجع السابق، ص.138

[2] ينظر، جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة الهلال ن د.ط، 1930، ج1، ص.34

[3] ينظر عمر عروة، النثر الفني القديم، أبرز فنونه وأعلامه، دار القصبة للنشر، د.ط، د.ت، ص.32

[4] ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص.247

ويمكن تجسيد ذلك وفقا للخطاطة الآتية:

أما أحمد الهاشمي في كتابه "جواهر الأدب" يرى بأن الترسل هو مخاطبة الغائب بلسان القلم ..." مع تباعد البلاء وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب والمكتوب إليه والنسبة بينهما ..."[1]

وكان الأدباء الأندلسيون يطلقون لفظ رسالة على ما ينشئه الكاتب في نسق فني جميل في غرض من الأغراض، ويوجه إلى شخص آخر. وشمل ذلك الجواب والخطاب، كما كانوا يطلقون لفظ رسالة أحيانا على القصائد والمقطوعات الشعرية التي ينظمها الشاعر على شكل خطاب موجه إلى صديق أو غيره في أي موضوع.[2]

ومن الألفاظ المرادفة لمصطلح رسالة في الأدب الأندلسي لفظ كتاب، فقد دلّ هذا اللفظ منذ البداية الأولى لأدب الرسالة في الأندلس على ما كان عليه لفظ رسالة، وهو الإشارة إلى النص المكتوب الذي يبعث به الكاتب إلى غيره في أي موضوع.[3]

ومن هذه التعاريف يمكننا القول إن الترسل من أهم فنون الأدب العربي، والذي يعتبر من أهم وسائل التواصل.

---

[1] أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج1، د.ط، دت، ص.44.

[2] ينظر، فايز عبد النبي فلاح القيسي: أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار النشيد، ط1، 1989م، ص.77-78.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص.80

ثانيا: نشأة فن الترسل وتطوره:

1- نشأته:

إن من تتبع تاريخ الأدب العربي عصرا بعد عصر، وجد أن وسائل التدوين لم تكن ميسرة في العصر الجاهلي، إلا أن بعض الدارسين المحققين لهذا التراث الأدبي العربي ذكروا بعض أنواع النثر العربي لتلك الفترة كالقصص والحكم والأمثال والوصايا والخطابة والرسائل، وربما كان استعمال عرب الجاهلية للرسائل كان استعمالا محدودا إذ استخدموها في بعض شؤونهم الحياتية وذلك على نطاق ضيق غلب عليه الأسلوب الشفوي والشعري معا أكثر من غلبة الأسلوب النثري المدوّن.[1]

وبمجيء الإسلام استطاع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يغير من نسيج العقل الجاهلي ليظهر بمظهر الحضارة الإسلامية، حيث حثّ النبي (صلى الله عليه وسلم) المسلمين على تعلّم القراءة والكتابة متخذا بدوره كتّابا يكتبون له القرآن ويدونون له رسائله التي كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل وزعمائها، يدعوهم إلى الإسلام، ونظرا لبعد المسافات وضرورة إيصال الدعوة للبعيد من العرب بدأت كتابة العهود والرسائل. فأصبحت الرسالة خادمة للدعوة الدينية ووسيلة لتأييد الدين الجديد ونشره في كافة أرجاء العالم.

وبدأت بذلك معالم فن الترسل تتبلور شيئا فشيئا، إذ ارتبطت موضوعاته ارتباطا وثيقا بالحوار والإقناع والتبليغ والتعبير والتسامح الذي كان وسيلة مثلى في الاستقطاب، ومنذ هذا التاريخ فتح الدين الجديد للأدب العربي عامة ولأدب الترسل خاصة آفاقا جديدة بما أتاه من أغراض ومعان جديدة فنافس الكاتب الشاعر والخطيب، أصبحت له منزلة خاصة.[2]

كما يرى عبد الإله كليل في كتابه "فن الترسل" أن نشأة فن الترسل بدأت في فترة صدر الإسلام التي لعبت دورا مهما في التحول الذي عرفه المجتمع العربي والخروج به من مجتمع قبلي إلى

[1] سارة البربوشي، الترسل الأدبي بين النشأة والتطور، العدد 17، 2016، ص.4

[2] المرجع نفسه، ص5.

أمة توحدت في ظل دولة عربية إسلامية. وكان لهذا التحول الجذري أثره البالغ في الحياة الثقافية والفكرية والأدبية لهذه الأمة، خاصة في مجال النثر العربي وبالأساس في الترسل.[1]

2-تطور أدب الرسائل:

إن وجود الكتابة الفنية وتطورها ومن ضمنها أدب الرسائل إنما هو ثمرة من ثمرات الإسلام وحضارته لأن الظروف اقتضت منذ بداية ظهور الإسلام إلى استخدام الرسائل، فهذا النبي (صلى الله عليه وسلم) يراسل أول الأمر في الداخل والخارج للدخول في الدين الجديد، وهؤلاء خلفاؤه من بعده يستخدمون كتّابا يملون عليهم من الطبيعي ما يهم شؤون المسلمين وحياتهم، وسارت الأمور هكذا إلى أن أسس الأمويون ديوان الرسائل من ضمن الدواوين الأخرى في عهد معاوية بن سفيان.[2]

أما عبد الحميد الكاتب فقد ألقى الضوء على نشأة وتطور فن الترسل عبر العصور كما يلي:

1- العصر الجاهلي: لم يعرف العرب قديما هذا الفن والسبب في ذلك يرجع إلى قلّة الدواعي إليه، وأن الكتابة نادرة بينهم، وقد ازدهر عندهم الشعر والنثر في الفنون الثابتة على المشافهة والقولية القائمة على حد اللسان والإجادة في الإيضاح والإفصاح. ومن الذين كانوا يعرفون الكتابة فقد استعملوا بعض الرسائل بينهم للتعبير عن بعض شؤونهم الحياتية، فهذه الرسائل تكون في قوالب تشبه الحكم والأمثال لا يوجد فيها تحليل ولا تفصيل ولا شرح. بل تكتب في لفظ وجيز بريء من الصبغة المقصودة.

2- **العصر النبوي**: ولما جاء الإسلام نما وازدهر فن الترسل، وذلك اثناء رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) في نشر رسالته ودعوته، ولما استقر بالنبي (صلى الله عليه وسلم) المقام بالمدينة المنورة أصبح يكتب الرسائل إلى ولاة القبائل وأمراء الدول بالدعوة إلى الإسلام.[3]

---

[1] د. عبد الإله كليل، فن الترسل -النشأة والتطور، نور للنشر، ط1، 2017، ص45.

[2] الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993، ص.74-75

[3] عبد الحميد الكاتب: فن الترسل (دراسة تحليلية)، المجلة العربية، جامعة داكا، المجلد 16، 2018، ص26.

3- **العصر الراشدي**: في عهد الخلفاء الراشدين قد ظل أدب الرسائل غالبا امتدادا للمكاتبات النبوية، ولما توفي النبي (صلى الله عليه وسلم) واستلم أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) في (11-13هـ/632-634م) راية الخلافة، ارتدت بعض القبائل على الإسلام، فأرسل إليهم رسالة ينذرهم من عاقبة فعلتهم. وفي عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ازدهر فن الرسائل في الأمور الإدارية لأجل ازدياد المكاتبات إلى القادة والولاة والعمال والقضاة.

واستمر هذا الفن حتى عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الذي كان يرسل رسائل إلى أصحاب الشأن من المحاربين وإلى الولاة، حتى أصبح بعض الصحابة يتراسلون فيما بينهم. أما في عهد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)فكثرت الرسائل المكتوبة خاصة وقع التراسل بين فريقه والفريق الأموي، حيث سميت هذه الرسائل بالرسائل الديوانية أو الرسمية بسبب اتخاذها الطابع الرسمي.[1]

4- **العصر الأموي**: اتسع فن الترسل والكتابة في هذا العصر اتساعا طبيعيا بطريقة اتساع العصر الراشدي وازداد نشاطه سريعا لتواجد البيئة الملائمة إلى هذا العصر، وقد رفع راية الخلافة "معاوية بن أبي سفيان" (رضي الله عنه) (661-680م) على دمشق متخذا منها عاصمة الدولة الجديدة، فأنشأ ديوانا للرسائل. وفي عهد عبد الملك بن مروان (683-708م) غربت الدواوين الموجودة في الدولة الأموية، وفي عهد هشام بن عبد الملك (724-743م) استشهد هذا الديوان بالافتنان، وهذا يساعد في انتشار ديوان الرسائل وتطورها.

5- **العصر العباسي**: تأثر الأدباء والشعراء بأساليب الكتابة ووجوه أداء اللغات في الأمة الفارسية المجاورة، كما تأثر الخلفاء والأمراء بنظم حكمهم وعاداتهم، فأخذ الأديب يتدرج في التنميق والزخرفة، كما نمق الناس في ألبستهم وأطعمتهم، وسائر مرافق حياتهم، وكثر فيها استعمال البديع والسجع، فأصبحت الكتابة صنعة محضة، كان الترسل في الدولة الأموية فنا رسميا يتعلق بأمور الدولة، أما في العصر العباسي فأصبح فنا أدبيا بالعامة يتعلق بكافة أمور الحياة.[2]

[1] المرجع السابق، ص28.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص30.

6- في العصر الأندلسي: تطور أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري تطورا كبيرا، وتشعبت موضوعاته واتجاهاته وأغراضه تبعا لتشعب أمور الحياة في المجتمع الأندلسي في هذا القرن واقتحم على الشعر ميدانه وشاركه في أغراضه وفنونه. وظهر عدد كبير من الكتاب البلغاء الذين أخذوا يروضون أقلامهم على كل فن، ويجولون بها في كل ميدان معتمدين على بلاغتها في التعبير عن خلجات القلب وخطرات النفس وأمور الحياة ولقد صاغوا أحاسيسهم ومشاعرهم في رسائل رائعة تناقلتها الأجيال جيلا بعد جيل.[1]

ومهما يكن من أمر تهيأ لأدب الرسائل من عوامل الازدهار ما بوّأه منزلة رفيعة في أدب القرن الخامس الهجري، ومن هذه العوامل ما يتعلق بالانهيار السياسي الذي أصاب الأندلس بعد سقوط الخلافة وتجزؤ البلاد إلى دويلات صغيرة مستقلة، وما نجم عن ذلك من كثرة المشاحنات والخصومات بين ملوكها، وما كان من نشوب الحروب الداخلية، واشتعال الفتن وسياسة البطش والإرهاب التي انتهجها بعض ملوك الطوائف مع رعاياهم إضافة إلى انقسام الأمة واختلاف كلمتها.[2]

وقد كان لتكتل الصليبيين وسيرهم إلى الأندلس بجحافل جرارة لاستعادة الأندلس إلى حظيرة النصرانية وما نجم عن ذلك من سقوط القواعد والمدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى أثر كبير في ازدهار الرسائل وتطورها، إذ كان لابد من إذكاء روح الحماسة، وبثها في النفوس للقيام بأعباء الواجب المقدس لإنقاذ الأندلس والدفاع عنها، وقد كانت الرسالة خير وسيلة لتحقيق هذه الغاية الجليلة، فكانت رسائل الاستنفار التي تبكي الأمة. وقد نشط هذا الضرب من الرسائل بعد سقوط طليطلة بيد ألفونسو عام 478هـ، إذ كثرت الرسائل التي تحضّ على الجهاد لإنقاذ الأندلس، وبخاصة تلك الرسائل التي كان يبعث بها ملوك الطوائف إلى المرابطين يطلبون منهم العون والمساعدة في ردّ الخطر الداهم الذي أصبح يهدد الوجود الإسلامي في الأندلس.[3]

---

[1] فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص.143

[2] المرجع نفسه، ص.143-144.

[3] المرجع نفسه، ص.144

وبعد جواز جحافل المرابطين إلى العدوة الأندلسية، وما كان من نصرتهم للإسلام ونجدتهم للمسلمين ضد الصليبيين، عظمت الحاجة إلى الرسائل تشرح سر المعارك وتصفها، ففسح المجال أمام الكتاب الذين أخذوا يشرحون سير المعارك ويبينون نتائجها، ويخبرون بالفتوح ويبشرون بها ويهنئون بالانتصارات، ويتغنون بالجهود العظيمة والحماسة التي تحلّت بها الجيوش الإسلامية وقاداتها.[1]

كما كان لانتشار البذخ واللهو، وانصراف ملوك الطوائف ووزرائهم عن مصلحة الأمة إلى الانشغال باللهو وشرب الخمور وارتكاب المعاصي دور في شيوع أدب الرسائل وتعدد موضوعاته.[2]

وقد كان لبعض الظواهر الأدبية التي شهدها الأندلس في القرن الخامس الهجري أثر كبير في ازدهار أدب الرسائل، فقد أدت ظاهرة كثرة الشعراء الجوالين الذين يطوفون على الأمراء مادحين متكسبين بأشعارهم إلى كثرة الرسائل التي تكتب في الشفاعات والوصايا من أجل أولئك الشعراء. وقد استمر أدب الرسائل في ازدهاره بعد خلع ملوك الطوائف، ووجد الكتاب اهتماما كبيرا لدى المرابطين وولاتهم في الأندلس.[3]

ومن مظاهر ازدهار أدب الرسائل انتشار ظاهرة المعارضات بين المترسلين وهي تشكل جزءًا مهما من ظاهرة السلاسل الأدبية التي كانت مألوفة في الأدب الأندلسي في هذا القرن، إذ كانت رسالة تثير عدة رسائل أي أن الرسالة الواحدة تثير كتابة رسالة أخرى لا سيما حين يدخل حلبة النزال كتاب آخرون بقصد إظهار براعتهم واقتدارهم في القول، ثم مجاراة الرسالة الأصل ومحاولة التفوق عليها. ومن هذه السلاسل الأدبية رسالة الزهريات، ورسائل الزرزوريات، ورسائل وصف المطر بعد القحط.

لقد تطور أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس من حيث الموضوعات والأغراض، فواكب جميع مظاهر الحياة الأندلسية آنذاك، مما ضمن له البقاء في الصدارة التاريخية والأدبية.[4]وقد

[1] المرجع السابق، فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ص.145
[2] المرجع نفسه، ص.146
[3] المرجع نفسه، ص.146
[4] المرجع نفسه، ص.147

كان للأندلسيين فضل السبق في بعض الرسائل ومنها رسائل الشوق والوجدان الديني لزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتأدية فريضة الحج.

تعد البذرة الأولى لتطور الرسائل ونضوجها في القرن الخامس الهجري مدة زهو الدولة الأموية وملوك الطوائف تناولت أغراضها كل أغراض أهل المشرق بل زادت عليها فقد كتبوا في الاعتذار والعتاب والافتخار والمدح، والذم والشوق والوصف (وهو عماد كلامهم)، والجدّ والهزل، والتهاني والتهادي، الرثاء والاقتضاء والمناظرة والمنافرة والاستزارة والشكوى والوصية والعناية، وفي العقود إلى غير ذلك مما تراه النثور في كتبهم، وقد كتبوا على هذه الطريقة الرسائل الصافية في الجد والهزل وقد منحوا لأنفسهم الحرية في اختيار المبدأ والختام، ولم يلتزموا شيئا من ذلك فيما يكتبونه للعلماء والأمراء في العقود والعهود والكتب العامة والخاصة.[1]

وقد ظهر في القرن الخامس الهجري العديد من النقاد الأندلسيين الذين وضحوا آرائهم في أصول الكتابة وطرائقها وفي مقدمتهم "ابن شهيد" الذي قال: "لكل عصر بيان ولكل دهر كلام ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة وضرب من البلاغة".[2]

ومن أبرز أعلام الكتابة في القرن الخامس الهجري "ابن زيدون" الذي أظهر نبوغا وإبداعا كبيرين في رسائله هذه خاصة الجدية والهزلية وقد تفنن في رسائله فأودعها بالكثير من الأمثال وأبيات من الحكمة بالإضافة إلى ابن أبي الخصال "أبي حازم بن شهيد" وغيرهم كثيرون ونظرا لتطور النثر في الأندلس في هذا القرن وكثرة مواضيعه وتعدد أغراضه وحرص الكاتب على الارتقاء بمستوى الرسالة دعا الكاتب إلى الإنتاج الأدبي، وإظهار نثر جديد يتماشى مع طبيعتهم الأدبية، وكان ذلك يتم بواسطة الرسائل أين تنوعت الرسالة وأصبحت تتبع منهجية محددة في كتابتها.[3]

[1] المرجع السابق، ص.97

[2] مصطفى عناني، إظهار المكنون من الرسالة الجدية لابن زيدون، مطبعة الرحمانية، مصر، ط3، 1927، ص.26-27

[3] فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ص.309

وهذا ما يقر به "الربيع بن سلامة" حيث قال: "كانت الرسائل في الأندلس متنوعة، فمنها الرسالة الديوانية والإخوانية والرسالة الدبلوماسية، وقد احتوت هذه الرسائل على منهجية محددة في الكتابة، وخاصة الرسائل الدبلوماسية التي صاحبت تأسيس قواعد الكتابة في الأندلس[1]، ثم أخذت الكتابة بعد هذه المدة يتقلص ذكرها ويذهب رواؤها ويظهر فيها التكلف، وتمحي خصائصها شيئا فشيئا فذهب منها الاستكثار من التشبيه والبديع والاستعارات الفائقة، والسجع قصير الفواصل وصور بعض الرسائل السلطانية بالألقاب خاصة، والرسوم المحدودة وبقي فيها السجع الطويل الفقرات والإطناب الممل. ومن الأغراض التي ظهر فيها الإطناب واضحا رسائل الشكوى والاستشفاء بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وأولى السطوة من السلاطين كما كان ذلك في رسائل "لسان الدين بن الخطيب" التي كان يرسلها مع الحجاج لتقرأ عند قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) فذهب الخطاب الموجه، وحل محلّه الخطاب مع ميم الجمع ومع هذا كلّه بقيت الكتابة وفيها آثار الجمال والرونق حتى استولى العدة على البلاد وانتقل الكثير من أهلها إلى بلاد المغرب، فكان منهم كتاب مشهورين وشعراء متقدمين.[2]

ثالثا– الرسالة وخصائصها البنائية:

1. **البناء:** بعد أن تحدثنا عن مفهوم الترسل لغة واصطلاحا ونشأة فن الترسل وتطوره. سنتكلم عن الخصائص البنائية لهذه الرسالة وما يشتمل عليه كل جزء من أجزاء الرسالة من المقدمة إلى المضمون إلى الخاتمة وما ينبغي أن تشتمل عليه تلك الأجزاء.

أ) **بنية المقدمة:** عرف البناء الهيكلي للرسالة تطورات مختلفة خلال مسيرته في تاريخ الأدب العربي من رسالة عبد الحميد الكاتب إلى موسوعة ابن العباس القلقشندي مرورا بغيرها من المؤلفات التي نظرت لهذا اللون الأدبي، وعن هذا الاختلاف يقول الكلاعي: "ونظرت أعزك الله في صورة

[1] مصطفى عناني، اظهار المكنون من الرسالة الجدية لابن زيدون، ص.26-27.
[2] المرجع نفسه، ص.27-28

الرسائل واستفتاحاتها فوجدتها أيضا تختلف"[1]وتختلف استفتاحات الرسائل، ويختار الاستفتاح المناسب لمنزلة المرسل إليه فقد يذكر مقدما عن المرسل بصيغة: لفلان من فلان، وقد يؤخر ذكره فيكتب: من فلان لفلان، وتكون في حالات أخرى إيراد كنية المرسل إليه أو رتبته، غير أن في كل الاستفتاحات كان يراعي فيها الجودة والحسن والبراعة لأنها تقع في البداية وهي أول ما يطرق السمع من الكلام، فيكون داعية للانشراح وإثارة انتباه المتلقي، وقد كان يلجأ إلى المنظوم فتبدأ الرسالة بأبيات شعرية لكاتبها أو لغيره تدل على المضمون العام لها وتختصره في كلماتها، وكثيرا ما يلجأ الكاتب إلى الإشارة إلى غرض الرسالة في مطالعها ومقدماتها كعملية ربط وحسن تخلص.

ب) بنية المضمون: ينتقل كتاب الرسائل إلى المراد من رسائلهم وبحسن تخلص لطرق الموضوع الذي يريدون معالجته في رسائلهم، وغالبا يقع حسن التخلص بصيغة "أما بعد" وهي وقفة بين الابتداء والشروع في الموضوع المراد ذكره في الرسالة، وقد تنوعت المضامين في الرسائل بنوعيها الإخوانية والديوانية، ومست مختلف جوانب الحياة[2]، السياسية والاجتماعية، فكان كتاب الدواوين يكتبون بتولية القادة والقضاة والأمراء، ويكتبون بمناسبة نصر جيوش المسلمين والتهنئة بذلك.

وفي الإخوانية يتبادلون الأصدقاء الرسائل ويتطرقون فيها إلى الشوق والاعتذار والتهنئة بالزواج والمولود الجديد والتعزية والشكر والدعوة إلى حضور مناسبة من المناسبات وغيرها من الموضوعات.

ج) بنية الخواتيم والنهايات: خاتمة الرسالة هي آخر شيء فيها، وتكون في الغالب بلفظ "السلام" أو "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته".[3]

كما تسمى الخاتمة عند القدامى "بالمقطع" ويقابله "الابتداء" ويقول صاحب الصناعتين: "الابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكونا منمقين".

---

[1] آمنة الدهري، الترسل الأدبي بالمغرب "النص والخطاب" منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، المحمدية، المغرب، ط1، 2003م، هامش1، ص.37

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص.37-38

[3] المرجع نفسه، ص.37

فالاعتناء بالخاتمة من حيث تجويدها وتحسينها أمر مطلوب لما له من أثر في النفس.[1]

إن الخاتمة تتخذ أشكالا متعددة، كما قد تتألف من عناصر متنوعة ومنها الدعاء، حيث يخصص صاحب الرسالة خاتمتها للدعاء للمرسل إليه "لكن الدعاء ينبغي أن يكون على حسب توجيه الحال بينك وبين من تكتب إليه وعلى القدر المكتوب فيه" ومعنى هذا أن الدعاء للمرسل إليه يستلزم مراعاة الأحوال وطبيعة العلاقات الكائنة بين المترسلين وغرض الرسالة.[2]

وفضلا عن الدعاء تتألف الخاتمة من عناصر أخرى هي: التحميد، والتصلية والسلام والشعر وهي بمثابة العناصر الرئيسية في كل رسالة وهذا ما يتأكد من خلال نماذج أخرى من الرسائل على الرغم من قصرها كالرسالة التي كتبها الجاحظ إلى رجل وعده: "أما بعد، فإن شجرة وعدك قد أورقت، فليكن ثمرها سالما من جوائح المطل والسلام". ويختم عبد الحميد الكاتب رسالته إلى الكتاب داعيا ومسلما: "... تولانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة، بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده، فإن ذلك إليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".[3]

رابعا– بدايات فن الترسل في الشعر الأندلسي:

لقد ظهر فن الرسائل الشعرية في الأندلس في بدايات العصر الأموي على شكل توقيعات شعرية من الملوك، وقد انتشرت هذه التوقيعات فيما بعد على شكل رسائل شعرية، فقد روي أن بعض الوفود من قريش كتب إلى الإمام عبد الرحمن الداخل يستعظم حظه منه ويطلب إليه زيادة نصيبه من المال، فوقع على ظهر رقعته أبياتا منها:[4]

شتان من قام ذا امتعاض منتضى الشفرتين نصلا

فجاب قفراً وشق بحراً مسامياً لجة ومحلا

[1] محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، ص.381

[2] المرجع نفسه، ص.382

[3] أمنة الدهري، الترسل الأدبي بالمغرب، ص.37

[4] عبد الله بن محمد بن عبد الله القضاعي (ابن الآبار)، الحلة السيراء، ت: حسين مؤنس، دار المعارف، جامعة تكريت، ج2، ط3، 2013، ص.39-40.

فَشاد مجداً وبْز مَـــلِكاً ومنبراً للخِطاب فَصلا
ثُم دَعا أهْلهُ جَمِيـــعاً حَيثُ أنتأوا أَن هلم أَهلا
فَجاء هَذا طَريد جُوع شَرِيدُ سَيف أبَاد قتلا
فَنَال أَمْناً وَنَال شبعاً وَحَاز مالاً وضَم شَمْلا
أَلم يَكنْ حَق ذا عَلى ذا أَعْظمُ مِن مُنعِم وَمولى

وعلى الرغم من أن هذا الفن كان في القرون الأولى من الوجود العربي الإسلامي قليل الشيوع والانتشار فقد سجّلت لنا كتب الأدب بعض الرسائل المتبادلة بين الشعراء والتي جاءت في مواقف شتى، مثل الدعابة والفكاهة، ورسائل الدعوة إلى مجالس اللهو وغيرها.[1]

ومن أسباب انتشار فن المراسلات الشعرية:

- روابط الصداقة القوية التي كانت تربط بين الشعراء وأقرانهم من أكثر الدواعي لنظم الرسائل الشعرية فنرى ابن زيدون يتذكر أيامه الجميلة ببلنسية مع صديقه الوفي ابن عبد الله بن عبد العزيز.[2]

كما وصفت لنا المصادر الأندلسية كثيرا من مظاهر الصداقة والإخاء والمودة بين الشعراء وقد ذكر ابن بسام في معرض حديثه عن أبي علي الحسن بن الغليظ وابن السراج المالقي واصفا صداقتهما حيث يقول: "فقد كان صاحبه الكثير الاتصال به والمنادمة له".[3]

ومن يعود إلى المصادر الأندلسية يجد أنه قد دارت بينهما كثيرا من المراسلات الشعرية في مضامين شتى منها الدعوة إلى مجالس الأنس، ومن ذلك الرسالة التي بعث بها الحسن بن الغليظ إلى صديقه الوفي ابن سراج:

يَا خَلِيلا صَفا وكَدْر يَومِـي هلى إِلى الطَبِيب في غد مِن سَبِيل؟
لَو تَرَاني أَسَارق اللحظ خلي واسقى مِـــن رِيقِـــه المعْسُول
يَا خَلِيلا مِثَالُه نصب عَيني لَو خُلونا إذن شَفيت غَليلي

[1] ينظر: أبن الآبار، الحلة السيراء، ج2، ص.129

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص.129

[3] ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ت: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، م2 ، 1998، ص.870.

ولم تقف المراسلات الشعرية بين الأصدقاء عند حدّ الدعوة إلى مجلس الأنس، فقد استخدمها الشعراء في الطلب والاستهداء والتهنئة بقدوم المولود أو بالزواج. فمن تلك الرسائل الإخوانية يتم تبادل معاني المودة والصداقة التي تسهم في توثيق العلاقات بين المتخاطبين.[1]

- شيوع ظاهرة التشرد والترحال وعدم الاستقرار التي عانى منها كثير من أبناء المجتمع الأندلسي فقد تعرض المجتمع في الأندلس لاهتزازات عنيفة في القرن الخامس الهجري أهمها فتنة قرطبة التي أدت إلى سقوط الخلافة، وتنازع ملوك الطوائف على البلاد، إضافة إلى دخول المرابطين في أواخر هذا القرن، وما أحدثه ذلك من أثر كبير على المجتمع بشكل عام سياسيا واجتماعيا.[2]

إن هذا الاضطراب السياسي والاجتماعي أدى إلى الترحل طلبا للرزق، فهذا عبد الله بن صارة الشنتريني تضيق به الحال يجوب بلاد الأندلس باحثا عن عمل، ثم يستقر في إشبيلية، ويعمل في الوراقة على كساد سوقها وفيها يقول:[3]

أما الورَاقة فهي أنكدُ حِرفة أغصانُها وثمارُها الحرمانُ

شبهتُ صاحبها بإبرةَ خائطٍ تكسو العراةَ وجسمُها عُريان

– خامسا: عناصر الرسالة:

تقوم الرسالة أساسا على بنية التخاطب القائم على العملية التواصلية، وهي المرسل والمرسل إليه اللذان يتصلان وفق قناة وتقنين وسياق مقامي يظهر فيه الخطابة، وأن كل الرسائل تشترك في الوظيفة وهي الإخبار وعلى هذا الأساس ينبغي الوقوف على نموذج من الرسائل الشعرية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري.[4]

[1] المرجع السابق، ص.871

[2] سعاد عبد الله أبو ركب: الرسائل الشعرية في الأندلس في القرن الخامس هجري، إشراف الدكتور فايز القيسي، جامعة مؤتة، 2008، ص.118

[3] المرجع نفسه، ص.128

[4] نجاة غقالي، قراءة سيميائية لرسالة ابن خلدون المغربي، رسالة ماجستير في الادب المغربي القديم، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005/2004 ص.615

1. المرسل Destinateur:

هو مصدر الخطاب المقدم، وهو صاحب الرسالة، ويسمى الكاتب أو الأديب المنشئ، فهو الفاعل الرئيسي على إنشاء خطاب يوجه إلى المرسل إليه في شكل رسالة كتابية.[1]

فمثلا المرسل في قصيدة الشاعرة الأندلسية التي بعثت إلى والدها تستأذنه زواجها من ابن التاجر الاشبيلي الذي اشتراها من أسيرها، والتي مطلعها: "اسمع كلامي واستمع لمقالتي، وفي باقي المقاطع الأخيرة تقول:

وَمَضَى إِلَيك يَسُومُ رَأيَك فِي الرِضَا ولأَنْتَ تَنْظُرُ فِي طريق رَشَادِي

إلى آخر المقاطع، فلمّا وصل شعرها إلى أبيها سرّ وهو وأمّها بحياتها ووافق على زواجها، هي الشاعرة "بثينة بنت المعتمد"[2]

2. المرسل إليه Destinataire:

مستقبل الرسالة، يقابل المرسل داخل الدارة التواصلية اللفظية أثناء التخاطب ... ويقوم إليه بعملية التفكيك لكل أجزاء الرسالة لأنه يعتبر جزء من عملية النطق لأن اسمه مكتوب على رأس كل رسالة. فالمرسل إليه في القصدة المدروسة هو "المعتمد بن عباد" الذي يعتبر موقع المتلقي الخالي الذهن الذي يقبل الأخبار المرسلة إليه من طرف المرسل.[3]

3. الرسالة Message:

فيها نقف على تحديد كيفية حضور الفواعل السابقة في النص، فهي الجانب الملموس في العملية التخاطبية، حيث تتجسد عندها أفكار المرسل، أي تحول الأفكار الصوتية إلى صيغ تعبيرية تقدم الخبر وفق صياغة خاصة هي ما يشكل في نهاية الأمر الأثر الجمالي.[4]

وفي النموذج الذي أخذناه بالدراسة فإن اسم الرسالة "رسالة استئذان" لأن بثينة تستأذن والدها المعتمد في الزواج من ابن التاجر.

---

[1] المرجع السابق، ص.617

[2] المرجع نفسه، ص.618

[3] ينظر المرجع نفسه، ص619.

[4] المرجع نفسه، نص.117

4. مطلع الرسالة:

فقصيدة بثينة بنت المعتمد بن عباد كغيرها من الرسائل الشعرية لها مطلع تقول فيه:

اِسْمَعْ كَلامِي واِسْتمِع لمقَالتِي
فَهِي السُلُوك بَدت مِن الأَجُيادِ
لا تَنْكُرُوا أَنِي سَبِيت وَأَنَنِي
بِنْت لِمَلك مِن بَنِي عُباد

5. المنزل الجغرافي الذي يعيش فيه المرسل إليه:

بعدما حلّت النكبة بالمعتمد، وأسر وحمل وزوجته إلى أغمات في المغرب، استقر به الأجل هناك، فبعثت إليه ابنته بثينة هذه الرسالة في شكل قصيدة تستأذنه أن يبارك زواجها من فتى وقعت أسيرة لأبيه.[1]

ونخرج مما سبق إلى القول ن الشعراء كانوا يبعثون قصائدهم إلى الملوك لينالوا عليها الصلات وكان إجزال العطاء لهما سببا في ازدهار فن الرسائل الشعرية، كما نجد كثرة الشعراء الجوالين سببا في ازدهار هذا الفن، وهم الشعراء الذين يطوفون بلاد الأندلس طلبا للتكسب، ونيل الصلات، وقد أدت هذه الظاهرة إلى نشوء رسائل الشفاعات وازدهارها، فكان الشاعر بحاجة إلى توصية من أحد المشهورين حتى يبلغ مأمله[2]، ومن الأمثلة على ذلك الرسالة الشعرية التي بعث بها ابن زيدون إلى المظفر بن أبي الأفطس في الشفاعة لأحد أصدقائه، منها هذه الأبيات:[3]

ومُستشفَــع بَنِي بَشَـــــرته عَلَى ثِقَة بِالنَجَـــــاح الأتم
وقَدْ مَا قُلْت المسِيء العُثَار وَأحْسنْت بِالصَفْحِ عَما اَحْتَرِم
وعِنْد لَشُكرك نَظْـم العُقُودِ تَنَاسق فِيهَا اللآلي التَـــؤم

[1] المرجع السابق، ص.118

[2] عباس إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1971، ص.86

[3] ابن زيدون، الديوان، ص.416

ومما تجب الإشارة إليه أن تقاليد تبادل الرسائل الشعرية تقتضي وجوب الرد على الرسالة الشعرية المرسلة حتى إننا نجد في بعض الرسائل أن الطلب بالرد على الرسالة يأتي ضمن الأبيات المرسلة، وأحيانا نرى أن بعض الشعراء قد لا يتسنى له الإجابة على الرسالة لانشغاله بأمر آخر فيبعث له المرسل برسالة أخرى تذكره بوجوب الرد، وتطلب منه الجواب على الرسالة السابقة.[1]

كما نجد أن الظروف الخاصة التي كان يمر بها بعض الشعراء كانت تدفعهم إلى استخدام الرسائل الشعرية، فهذا "ابن زيدون" حين هرب من السجن، وأصبح يتجول في متنزهات الزهراء وأعجب بمناظرها الجميلة تذكر محبوبته "ولادة" وعبر عن مدى اشتياقه لها بهذه الأبيات الشعرية التي مطلعها:[2]

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا

والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا

فكانت هذه الرسالة هي الوسيلة الوحيدة التي اتخذها "ابن زيدون" ليعبر بها عن حبّه واشتياقه لمحبوبته.

كما يعد عمل "ابن زيدون" الديواني من أحد الأسباب التي دعته إلى نظم الرسائل الشعرية.[3] وأحيانا نجد المراسلات تتم عن تنقل السفراء إلى البلاد كما كتب "أبو عبيد الله البكري" إلى "ابن السقا" و"زيد بن جهور" وقد خرج رسولا إلى باديس "بن حبوس" مادحا في بيتين من الشعر قائلا:

كَذَا في بُرُوجِ السَعدِ يَنْتقِلُ البَدر وذَيحسِن حَيث اِحتل آثاره القطر

وتَقتسِم الأَرضُ الخُطوطَ فَبقعة لَها وَافر مِنها وَأخْرى لَها نَزر

وتعد هذه المجاملة من الشاعر يبين فيها مكانة السفير الرفيعة ومنزلته بين قومه.[4]

---

[1] ابن زيدون، ديوان عبد المجيد بن عبدون البابري (الشعر والنثر) مع دراسة لأدبه، إعداد وتحقيق سليم التنير، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1988، ص.132-133

[2] المرجع نفسه، ص.139

[3] إحسان عباس وآخرون، دراسات في الأدب الأندلسي، ص.162

[4] سعاد عبد الله أبو ركب، الرسائل الشعرية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص.32

سادسا: موضوعات فن الترسل:

تتمثل موضوعات فن الترسل في تلك الرسائل التي يستخدمها الشاعر في التعبير عن ذاته وانفعالاته وعواطفه. وهي تلك الرسائل التي يستخدمها الشاعر في مختلف المواقف المتعلقة بشخصيته وإخوانه وأصدقائه وغير ذلك: أي تلك الرسائل التي تدور موضوعاتها حول موضوعات وقضايا يكون للذات الشاعرة دور كبير فيها، ومن أهم هذه الموضوعات:

1) **طلب المودة والصداقة:**

يعد لونا من ألوان الطلب، لكنه طلب لتقريب القلوب، تمتين روابط المودة بين الأصدقاء والإخوان. ومن هذا اللون من الطلب في رسالة شعرية كتب بها أبو العلاء بن زهر إلى ابن عبدون يخطب فيها وده حيث يقول:[1]

نَصيبي مِنَ الدُنيا مَوَدَّةُ ماجِدٍ أَهيمُ بِهِ سِرّاً وَأَخدِمُهُ جَهرا
لَهُ الخَيرُ إِن يَأذَن أَقل غَيرَ عاذِلٍ وَإِن يَأبَ أسكُت عَنهُ لا طالِباً عذرا
خَطَبتُ إِلَيهِ مِن هَواهُ عَقيلَةً وَأعطيتُ مِن شُكري وَأَغلِ بِهِ مَهرا
فَإِن زَفَّها دوني إِلى كُلِّ خاطِبٍ فَلَم يَرَ مِثلي لا وَفاءً وَلا بَرّا

وتكشف لنا هذه الرسالة عن سلوك رفيع كان الأندلسيون يتبعونه، وهو طلب الصداقة بالاستئذان.

ويرسل ابن النبي رسالة عتاب إلى أصدقائه بعد أن ردته الريح إلى ميورقة، ويبدو أن أصحابه قد ابتعدوا عنه يقول:[2]

أَحْبتنا الألى عتبوا عَلَينا فَأَقْصَرْنا وَقَد أَزف الوَدَاع
لقَد كُنْتُم لَنا جذلاً وأنساً فَهَلْ في العَيش بَعْدكُمْ اِنتفاع
أقَول وَقْد صَدَرنا بَعْد يَوم أَشوَق بِالسَفِينَة أَمْ نِزاع
إِذَا طَارَتْ بِنَا حامت عَلَيْكُم كَأن قُلوبَنا فِيها شِراع

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص.228-229
[2] المرجع نفسه، ص.373

هذه مشاعر إنسان مخلص أبقى على الصداقة، لكنه عتب على أصدقائه بسبب بعدهم عنه، إذ كان ابتعادهم لأسباب سياسية. ومن العتاب ما تحول إلى اللوم الشديد، فهذا ابن زيدون يكتب معاتبا ابن جهور وقد أطال في مدحه ثم عتب عليه لسجنه إياه يقول:[1]

قُل لِلوَزيرُ وَقَد قَطَعت بمدْحِه عَمرِي فَكَـان السِـجنِ مِنه ثَوَاب

لم تَعد فِي أَمْرِي الصَوَاب مَوفقـا هَذا جَزاءُ الشَاعر الكَذابُ.[2]

2) **الاعتذار:**

يرى ابن الأثير ان اشتقاقه من المحو، كأنك محوت آثار الموجدة من القلب: "ويعد الاعتذار من آيات الوفاء والصداقة والمودة بين المتراسلين"[3]، ومن رسائل الاعتذار رسالة شعرية كتبها الأعمى التطيلي إلى بعض إخوانه:[4]

عدَانِي أَن أَزُورك صُرف دَهْرِ أخٌ فَما أُطِيق لَـــه اِحْتِيالا

ومَعذِرة يسِير نَبات صَدْري إِليكِ بِها اختصَارا أَو اِحْتفالا

وهـمّ مِن هُمـوم تُوخى طَرِيق الرِيـح كَانَ لَها عُقالا

ومن رسائل الاعتذار الشعرية ما كتب به المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين عند جوازه إلى الأندلس في المرة الثانية بعد معركة الزلاقة، حيث يقول:

يـا بَعيـدا وَإِنْ دَنَا كَمْ تَمَنَيتُ قَربَكَـا

أَنْت حَسبِي مِن المُنى ليتَني كُنْت حَسْبَكَـا

لقد تأخر المعتمد عن أداء حق الضيافة لبطالة كان منغمسا فيها، فكتب بالبيتين السابقين معتذرا عن تغيبه عن لقائه.[5]

---

[1] ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ت: ابراهيم الابيار، دار العلم للجميع، بيروت، م:1، ط:1، دت، ص.168.

[2] ابن زيدون، الديوان، ص.229

[3] ابن الأثير الكاتب، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، ت: نوري القيسي واخرون، دط، 1982، ص83 .

[4] فايز القيسي، أدب الرسائل، ص.102

[5] ابن بسام، الذخيرة، ص.785

ومهما يكن من أمر، فقد كتب الشعراء الأندلسيون رسائل الاعتذار بمناسبات كثيرة منها الاعتذار عن عدم اللقاء أو الاعتذار عن زيارة مريض أو الاعتذار عن نزر الصلة، وينم الاعتذار عن سلوك رفيع وخلق سام اتسم به أبناء الأندلس.

3) التهنئة:

تعد التهنئة من المناسبات التي تكون سببا لاتصال أبناء المجتمع مع بعضهم البعض، وإقامة الروابط الودية، وكانت الرسائل الشعرية إحدى وسائل الاتصال، وخاصة عند بعد المسافة، وقد أقام المجتمع الأندلسي كثيرا من الاحتفالات في مناسبات شتى مثل الزواج، وقدوم المولود، ختان الصبيان وما إلى ذلك من مناسبات. وكان للشعراء صدى بارز فيها، حيث يقدمون قصائدهم للتهنئة والتبريك، لهذا يقال عن هذا المجتمع مجتمع متماسك وتربطه روابط الود وما يؤكد ذلك الرسائل التي وجهت في تلك المناسبات.[1]

وفي هذا يقول القاضي عياض مهنئا علي بن يوسف بن تاشفين بزفاف ابنه تاشفين:

ليهن العلا أن زفت الشمس للبدر وحلي جيد الملك بالأنجم الزهر
وقرت عيون المجد أية قرة بيوم تعالى أن يكون من الدهر
لدن ساعة أفضت إلى كل بغية كما أعتلق الغواص بالدرة البكر
قران كلا السعدين فيه تلاقيا كما يتلقى في المقلة الشفر بالشفر
لتجر المنى في حلبته مغذة فحق لها في مثل ذلك أن تجري
يسعد أمير المؤمنين تطلعت أساريره تندى بمانية البشر
تمناه نجل الملك حظا ممتعا بعز إلى عز وقدر إلى قدر[2]

[1] سعاد عبد الله بو ركب، الرسائل الشعرية في الأندلس في القرن الخامس هجري، ص.51

[2] سليم حمدان، اشراف الدكتور: محمد بوعمامة، أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي – دراسة في ضوء اللسانيات التداولية–، رسالة ماجستير في لسانيات الخطاب، جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2008_2009، ص74

في الأبيات السابقة يهنئ القاضي عياض علي بن يوسف بن تاشفين بزفاف ابنه، ويقول لتهنأ العلا لهذا الزفاف السعيد الذي زفت فيه الشمس الساطعة إلى البدر المنير، وزين جيد الملك بالأنجم المتلألئة، وأصبح المجد قرير العين بهذا الزفاف فتعالى على الدهر.

وفي التعازي يقول الشاعر ابن رشيق القيرواني:

رَأيتُ التَعزِي مما يُهِيجُ عَلَى المَرء سَاكن أوصَابهُ

ومَا نَال ذُو أَسوَة سَلوَة وَلَكِنْ أَتَى الحُزْن مِن بابه

تَفكَر فِي مِثْل أَرْزائِه فَذَكره مَابه ما به [1]

إن القرن الخامس الهجري من القرون التي نهض فيها الشعر وتطور تطورا ملحوظا، ساعد على ذلك عدد من الاسباب أهمها اهتمام الحكام بالشعر والشعراء، فأنعكس ذلك إيجابا على حركة الشعر وتطوره، فتعددت اتجاهاته وتطورت وازدهرت اغراضه، وخاصة تلك الاتجاهات التي تعلقت بالحياة الاجتماعية، أو التي تعلقت بالوجدان، وقد نبع فن جديد في هذا العصر وهو فن الترسل في الشعر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري وفن الترسل في الشعر عبارة عن رسائل شعرية يرسلها الشاعر الى المتلقي لغرض ما.

[1] المرجع السابق، ص 75.

الفصـــل الثـــاني

جمالية الصورة في شعر الترسل الأندلسي

أولا: بناء الرسال (هيكلتها)

ثانيا: الموضوعات (موضوعات الرسائل الشعرية وأغراضها)

ثالثا: الصورة الشعرية في الرسائل الأندلسية

1. الصورة الشعرية

2. الصورة البيانية

أولا– بناء الرسالة (هيكلتها):

تعد الرسالة الشعرية كغيرها من الكتابات الأدبية الأخرى، فهي تقوم على بناء محدد المعالم يبدأها صاحبها غالبا بمقدمة يتوجه فيها بالخطاب إلى صديقه، ويخلع عليها بعض النعوت التي تتوافق ومكانته، ويدعو له بطيب العيش، ويعبر عن شوقه إليه ويلومه في بعض المواقف، كما يؤكد له تمسكه بعهود الصداقة في أبيات من قصائده.[1]

ومن النماذج التي تبين هذا البناء نورد الآتي:

أ. ابن زيدون: [أضحى التنائي].

تتألف قصيدة ابن زيدون من مجموعة من الوحدات المترابطة تمثل الحالات الشعورية التي انتابت الشاعر وهو يكتب قصيدته، فمطلع القصيدة:

أَضحى التَنائي بَديلاً مِن تَدانينا وَنابَ عَن طيبِ لُقيانا تَجافينا

الشاعر هنا يستهل قصيدته بالتوجع والتحسر على ما صارت إليه حاله فقد تغيرت من قرب بينه وبين محبوبته إلى محل التدني وحل التجافي محل طيب العيش، وكأنه في هذا البيت يختصر لنا آخر ما آلت إليه علاقته مع ولادة، فهو استعمل ألفاظا جزلة في التعبير عن مدى وطول البعد وقوة الشوق حيث استخدم ألفاظا ذات حروف ممدودة يمتد فيها النفس ليعبر عن ألمه، فهو يقول إن التباعد المؤلم بينه وبين محبوبته أضحى هو السائد بعد القرب الذي كان وحل مكان اللقاء والوصل والجفاء والهجر.[2]

ويتمنى ابن زيدون بعد أن وصف لنا ما انتهت إليه علاقته مع ولادة، لو أنه نعي إلى الناس، بدلا من أن ينعى حبه، ويفضل الموت على الفراق.

أَلّا وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ صَبَّحَنا حَينٌ فَقامَ بِنا لِلحَينِ ناعينا

[1] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، جامعة الأردن، دار المسيرة، ط1، 1427هـ/2007م، ص.67

[2] ابن زيدون، الديوان ورسائله، شرح وتحقيق الأستاذ علي عبد العظيم، منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004، ص.50

وفي هذا البيت يبحث ابن زيدون عمن يحمل رسالته إلى محبوبته ولادة يبلغها أنه منذ فارقها ما زال مقيما على البكاء بدلا من الضحك الذي كان عليه قبل الفراق، وابن زيدون يرجع مأساته وفقده لحبيبته ولادة إلى سببين هما: الأعداء والدهر، حيث يرى أن الأعداء غاظهم ما كان بينه وبين ولادة من حب وعشق فدعوا عليهما بالغصة فاستجاب الدهر لهم، فقال في ذلك: [1]

غيظَ العِدا مِن تَساقينا الهَوى فَدَعَوا بِأَن نَغَصَّ فَقالَ الدَهرُ آمينا

فَانحَلَّ ما كانَ مَعقوداً بِأَنفُسِنا وَانبَتَّ ما كانَ مَوصولاً بِأَيدينا

وَقَد نَكونُ وَما يُخشى تَفَرُّقُنا فَاليَومَ نَحنُ وَما يُرجى تَلاقينا[2]

أما القسم الثاني من هذه القصيدة فهو ينطوي تحت غرض العتاب، لأن ابن زيدون وجه في رسالته عتابا لولادة وحمّلها المسؤولية على ما انتهت إليه علاقتهما فقال في ذلك:[3]

يا لَيتَ شِعري وَلَم نُعتِب أَعادِيَكُم هَل نالَ حَظّاً مِنَ العُتبى أَعادينا

لَم نَعتَقِد بَعدَكُم إِلّا الوَفاءَ لَكُم رَأياً وَلَم نَتَقَلَّد غَيرَهُ دينا

ما حَقَّنا أَن تُقِرّوا عَينَ ذي حَسَدٍ بِنا وَلا أَن تَسُرّوا كاشِحاً فينا[4]

وواصل ابن زيدون الحديث عن حزنه الشديد على فراق ولادة فوصف حاله بعد الفراق من يأس وبكاء وحزن وأسى. ولما أصبحت قصته من الماضي فدفعه الحنين إليه إلى البحث عن رسل ذوي سرعة خارقة تحمل له رسائل إلى ولادة كالبرق ونسيم الصبا، بل أن الشاعر حرص على أن تكون هذه الرسل ذوي دلالات خيّرة فقال في ذلك:

يا سارِيَ البَرقِ غادِ القَصرَ وَاسقِ بِهِ مَن كانَ صِرفَ الهَوى وَالوُدُّ يَسقينا

[1] ينظر: صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.67

[2] ابن زيدون، الديوان ورسائله، ص.51

[3] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.68

[4] ابن زيدون، الديوان ورسائله، ص.47

وَيا نَسيمَ الصَبا بَلِّغ تَحِيَّتَنا مَن لَو عَلى البُعدِ حَيّا كانَ يُحَيّينا[1]

وراح ابن زيدون في الأبيات الموالية يصف محبوبته للرسل كي لا يضلا الطريق، فيسهب في وصف جمالها ومحاسنها ومن هذه المواصفات قوله:

إِذا اِنفَرَدتِ وَما شورِكتِ في صِفَةٍ فَحَسبُنا الوَصفُ إيضاحاً وَتَبيينا

يا جَنَّةَ الخُلدِ أُبدِلنا بِسِدرَتِها وَالكَوثَرِ العَذبِ زَقّوماً وَغِسلينا[2]

والملاحظ في هذه الأبيات براعة ابن زيدون بالوصف الخلاب، وقد قام وصفه على روعة التصوير، وعلى إفراد ولادة بمحاسن ليست في غيرها من البشر، وكأنها مخلوقة من المسك وأما غيرها من البشر فمخلوقون من الطين وبشرتها كأنها من الفضة الخالصة لبياضها، وشعرها كأنه الذهب لشقرته، وجسمها ناعم جدا لدرجة أن العقود المزدوجة التي تلبسها تميلها ذات اليمين وذات الشمال فهي جنة وروضة وكوثر لا مثيل لها في صفاتها.

ويقول الكاتب الدكتور أن رسالة ابن زيدون إلى ولادة تشتمل على عدة موضوعات.

- **الأولى**: التعبير عن يأسه من بقائها في الدنيا، والأمل في لقائها في الآخرة، وقد عبّر عن هذا اليأس بمخاطبتها بضمير المخاطب للجماعة:

إِن كانَ قَد عَزَّ في الدُنيا اللِقاءُ بِكُم في مَوقِفِ الحَشرِ نَلقاكُم وَتَلقونا[3]

لكن ابن زيدون حاول التغلب على يأسه من لقائها بأن فتح لنفسه نافذتين:

- أمل لقائها في الآخرة
- استحضار أجمل لحظات الماضي

- **الثانية**: وفي استدعائه لصورة الماضي الجميل، يبدع ابن زيدون في تصوير اللحظات الجميلة بالتحسر عليها معتمدا على الاستعارات والعبارات العذبة، فقال:

---

[1] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.68-69

[2] ابن زيدون، الديوان ورسائله، ص48

[3] المرجع نفسه، ص.48

كَأَنَّنا لَم نَبِت وَالوَصلُ ثالِثُنا وَالسَعدُ قَد غَضَّ مِن أَجفانِ واشينا
سِرّانِ في خاطِرِ الظَلماءِ يَكتُمُنا حَتّى يَكادَ لِسانُ الصُبحِ يُفشينا[1]

– **الثالثة:** وصف ما حل به من تجدد الحزن والأسى، ذلك أن تذكر الماضي الجميل لابد أن يبعث الأسى:

لا غَروَ في أَن ذَكَرنا الحُزنَ حينَ نَهَت عَنهُ النُهى وَتَرَكنا الصَبرَ ناسينا
إِنّا قَرَأنا الأَسى يَومَ النَوى سُوَراً مَكتوبَةً وَأَخَذنا الصَبرَ تَلقينا[2]

– **الرابعة:** وقد دفعه تذكر الماضي إلى محاولة التشبث به، وذلك من خلال التعهد لولادة بالمحافظة على حبّه لها وعدم الاستعاضة عنها، فقد استعمل ضمير المخاطب المفرد لأنه خصها بالحب والوفاء قائلا:

أَمّا هَواكِ فَلَم نَعدِل بِمَنهَلِهِ شُرَباً وَإِن كانَ يُروينا فَيُظمينا
لَم نَجفُ أُفقَ جَمالٍ أَنتِ كَوكَبُهُ سالينَ عَنهُ وَلَم نَهجُرهُ قالينا
وَلا اِختِياراً تَجَنَّبناهُ عَن كَثَبٍ لَكِن عَدَتنا عَلى كُرهٍ عَوادينا[3]

– **الخامسة:** الالتمام من ولادة أن تحافظ على عهده كما حافظ على عهدها:

دومي عَلى العَهدِ ما دُمنا مُحافِظَةً فَالحُرُّ مَن دانَ إِنصافاً كَما دينا
أَبكي وَفاءً وَإِن لَم تَبذُلي صِلَةً فَالطَيّفُ يُقنِعُنا وَالذِكرُ يَكفينا

– **السادسة:** التماس جواب منها على ما سأل:

وَفي الجَوابِ مَتاعٌ إِن شَفَعتِ بِهِ بيضَ الأَيادي الَّتي ما زِلتِ تولينا

وآخرها البيت الذي ختم به قصيدته، وقد بلغ فيه شوق ابن زيدون لولادة ذروته، حيث خاطبها بضمير المخاطب المفرد، ويتوج ذلك بأن يلقي عليها سلام الله قائلا:

[1] المرجع نفسه، ص.48
[2] ينظر: صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.70-71
[3] االبن زيدون، الديوان ورسائله، ص.54

عَلَيكِ مِنّا سَلامُ اللهِ ما بَقِيَت صَبابَةٌ بِكِ نُخفيها فَتَخفينا[1]

من هذا التحليل وجدنا أن رسالة ابن زيدون لمحبوبته ولادة جاءت عبارة عن مقاطع، كل مقطع يعبر عن وضعية وحالته اتجاهها.

ب. قصيدة الجبل لابن خفاجة:

عُرف الاندلسيون بشغفهم في وصف الطبيعة، وذلك لجمال الطبيعة الأندلسية، حتى أننا لا نكاد نجد شاعرا من الأندلسيين إلا وله مشاركة قلت أو كثرت في هذا الغرض. ولابن خفاجة ديوان شعر مطبوع يحوي قصيدة الجبل التي هيكلها وفق بناء هو كالآتي:

تتألف قصيدة الجبل لابن خفاجة من مجموعة من الأقسام المترابطة ترابطا سرديا، فبدأ قصيدته بمطلع ينبئ عن انشغاله بقضية مركزية تؤرقه.[2]

ويقال إنه استهل قصيدته (ابن خفاجة) بحديثه عن ولعه بالارتحال، حتى وإن كان مجهدا لأن في تكوينه نزعة الاكتشاف والرغبة في التعرف على ما هو جديد من البقاع والأماكن وبخاصة في مشرق الأندلس حتى استوقفه واحد من جبال الأندلس الأشم التي تجاور البحر. فبدأ التواصل مع هذا البحر الذي تحوّل في إحساس الشاعر إلى كائن حيّ يتكلم وتجري الحكمة على لسانه، فجعل مطلع قصيدته على صورة تساؤل:[3]

بعيشِكَ هلْ تدري أهْــوجُ الجنائبِ تَخُبُّ برَحلـــي أمْ ظُهورُ النَّجائبِ

وقضية ابن خفاجة هي قضية الحياة والموت لكنه لا يشير إليها في مطلع القصيدة بصورة صريحة بل بصورة متوارية، فهو في هذا المطلع ينحو منحى الشعراء القدامى الذين يضمنون مقدمات قصائدهم إشارات خفيفة إلى القضايا التي شدّ من أجلها الرحال، وقضية ابن خفاجة هي سؤال

[1] المرجع السابق، ص71

[2] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.100

[3]. خالد لفته باقر، من قصيدة وصف الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلسي دراسة تحليلية، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2016، العدد 77، ص 11-12

الموت والحياة، وكذلك حول إن كانت وجهة سير رحلته تجري باختياره هو أو رغما عنه. وهو بذلك يطرح سؤال على نفسه، الجبر والاختيار وهل الإنسان مسيّر أم مخيّر في هذه الحياة ومما يؤكد أنه يقصد بسؤال الحياة أنه بدأ بالقسم بالعيش.

ولئن كانت الأجواء التي افتعلها الشاعر في هذا المطلع هو أجواء القصيدة الجاهلية [هوج الجنائب وظهور النجائب، والرحل والخبب وهو نوع من مشي الإبل] فإنه عمد إلى كسر الوهم لدى القارئ بجاهلية النص باستخدامه للطبيعة البديعية في كلمتي الجنائب والنجائب، ويمضي ابن خفاجة بعد هذا المطلع (المقدمة) ليصف لنا الرحلة على نحو ما يفعل الشاعر الجاهلي محافظا في وصفه على مستويين دلاليين: المستوى الظاهري الذي يتوهم القارئ من خلاله أن الشاعر يصف رحلة حقيقية.[1] والمستوى الداخلي الرمزي الذي يرمي به الشاعر إلى مقاصد رمزية خاصة به تقوم على وصف رحلة الإنسان من الميلاد إلى الموت.

ويبدأ الشاعر ابن خفاجة في وصف رحلته ببيت يوهم فيه القارئ أنه يتحدث عن رحلة له بدأها من المشرق وجاب بها أقاصي المغرب وهو يقول:

فَمَا لُثْتُ في أُولى المشارقِ كوكبًا فأشرَقتُ حتَّى جِئْتُ أُخرى المغاربِ[2]

لكن المتأمل للبيت يجد فيه مفاتيح توحي بغير المعنى الظاهر له، فقوله "أولى المشارق" يعني أن هناك أخرى المشارق ويقصد بها المشرق العربي ومشرق الأندلس. المشرق العربي الذي ينتمي إليه كل عرب الأندلس ومشرق الأندلس مسقط رأس الشاعر. أما عن أخرى المغارب فيقصد بها نهاية العمر، كما يشير إلى أن هناك أولى المغرب وهو المغرب العربي.

[1] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.101

[2] ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تحقيق عبد الله سنده، دار القلم، بيروت، لبنان، ص.104

ويختلف ابن خفاجة في وصف رحلته بذكر ما يصادفه من مخاطر ومصاعب وأهوال في رحلته إلى ممدوحه، لكن ابن خفاجة في وصفه لرحلة لم يقصد شيئا من ذلك لأنه كان أصلا ميسور الحال ولم يكن متكسبا وكان يصف رحلة الحياة في قوله:[1]

وَحيداً تَهَادانِي الفَيافِي فَأَجتَلي وَجوهَ المَنايا في قِناعِ الغَياهِبِ
وَلا جارَ إِلّا مِن حُسامٍ مُصَمَّمٍ وَلا دارَ إِلّا في قُتودِ الرَكائِبِ
وَلا أُنسَ إِلّا أَن أُضاحِكَ ساعَةً ثُغورَ الأَماني في وُجوهِ المَطالِبِ[2]

فهو في هذه الأبيات يشتكي عدم وجود الرفيق وعدم توافر المأوى وعدم وجود الأنيس.

وينتقل ابن خفاجة في المقطع الثاني من قصيدته التي يصور فيه تأملاته في الحياة والناس تفاجأ فيه بأن الجبل كائن حيّ يتكلم بالحكمة في صورة الشيخ الوقور المعمّم، فيدهشنا هذا الموقف الشعري وهذه الصورة الشعرية التي تفرد بها حين يقول:[3]

وَأَرعَنَ طَمّاحِ الذُؤابَةِ باذِخٍ يُطاوِلُ أَعنانَ السَماءِ بِغارِبِ
يَسُدُّ مَهَبَّ الريحِ عَن كُلِّ وُجهَةٍ وَيَزحَمُ لَيلاً شُهبَهُ بِالمَناكِبِ
وَقورٍ عَلى ظَهرِ الفَلاةِ كَأَنَّهُ طِوالَ اللَيالي مُفَكِّرٌ في العَواقِبِ
يَلوثُ عَلَيهِ الغَيمُ سودَ عَمائِمٍ لَها مِن وَميضِ البَرقِ حُمرُ ذَوائِبِ

ومن الواضح براعة ابن خفاجة تصوير الجبل في صورة شخص له عمامة سوداء وقد تكون دليلا على الهموم التي تشغل بال الشاعر، وبعد أن هيأ ابن خفاجة الجبل على هذه الصورة ليكون أهلا للحوار تخيله شخصا وحاوره، فقال في ذلك:

أَصَختُ إِلَيهِ وَهوَ أَخرَسُ صامِتٌ فَحَدَّثَني لَيلُ السُرى بِالعَجائِبِ

[1] المرجع السابق، ص.108
[2] المرجع نفسه، ص.49
[3] المرجع نفسه، ص.42

وإذا تأملنا الحديث الذي أفضى به الجبل لابن خفاجة نلاحظ أن الجبل لم يكن إلا ابن خفاجة نفسه فيكشف القناع عنه لنجد تحت القناع وجه ابن خفاجة نفسه، حين يقول على لسان الجبل:[1]

فَما خَفقُ أَيكي غَيرَ رَجفَةِ أَضلُعٍ وَلا نَوحُ وُرقي غَيرَ صَرخَةِ نادِبِ
وَما غَيَّضَ السُلوانَ دَمعي وَإِنَّما نَزَفتُ دُموعي في فِراقِ الصَواحِبِ
فَحَتّى مَتى أَبقى وَيَظعَنُ صاحِبٌ أُوَدِّعُ مِنهُ راحِلاً غَيرَ آيِبِ
وَحَتّى مَتى أَرعى الكَواكِبَ ساهِراً فَمِن طالِعٍ أُخرى اللَيالي وَغارِبِ
فَرُحماكَ يا مَولايَ دِعوَةَ ضارِعٍ يَمُدُّ إِلى نُعماكَ راحَةَ راغِبِ[2]

من خلال هذه الأبيات نجد ابن خفاجة قال هذه القصيدة عندما تقدم به السن وقد فقد الكثير من أصحابه وأقرانه وبدأ يعر بالغربة والوحدة والخوف من الموت، وبسبب ذلك فهو يتضرع إلى الله أن يمن عليه بالخلاص من هذه الحال.

وفي البيت الأخير ينزع ابن خفاجة القناع تماما وينفصل عن الجبل كما انفصلت كل المخلوقات التي مرّت به سابقا وطوتها يد الردى، وكأن ابن خفاجة ينعى نفسه في هذا البيت.

وَقُلتُ وَقَد نَكَّبتُ عَنهُ لِطِيَّةٍ سَلامٌ فَإِنّا مِن مُقيمٍ وَذاهِبِ[3]

فالمقيم الذي يقصده الشاعر هو الجبل، والمسافر هو ابن خفاجة. وبهذا وضع ابن خفاجة خاتمة لقصيدته.

لقد واصل الشعراء في الأندلس في القرن الخامس الهجري إرساء دعائم المحافظة على تلك التقاليد العامة ومحاكاة الأوائل في مضامينهم فابن شهيد الأندلسي في رسالة "التوابع والزوابع" يكشف عن قدرته في حسن التخلص، ومقدرته على الانتقال إلى المعنى الأساسي، وتعد خير مثال على

[1] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.106
[2] ابن خفاجة، الديوان، ص.504
[3] ينظر: صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.107

محافظة شعر هذه الحقبة من الأندلسيين على تقاليد القصيدة ومحاكاة مذهب الأوائل من الشعراء ويقول ابن شهيد:[1]

مَنازِلُهُمْ تَبْكِي إليكَ عَفاءَها سَقَتْهَا الثُّرَيّا بالغَرِيّ نِحاءَهَا
أَلَثَّتْ علَيْهَا المُعْصِراتُ بقَطْرِهَا وجَرَّتْ بها هُوجُ الرِّيَاحِ مُلاءَهَا
حَبَسْتُ بها عَدْواً زِمَامَ مَطِيَّتِي فَحَلَّتْ بها عَيْنِي عليَّ وِكاءَهَا
رَأَتْ شُدُنَ الآرامِ في زَمَنِ الهَوى ولم تَرَ لَيْلى فهي تَسْفَحُ ماءَهَا
خَلِيلَيَّ عُوجا بارَكَ اللَّهُ فيكما بدارِهَا الأُولى نُحَيّ فِناءَهَا[2]

فقد حاول ابن شهيد في هذه المقدمة أن يجمع عددا من مقومات المقدمة الجاهلية، فقد وقف واستوقف وبكى واستبكى، ووصف المنازل وما بقي من آثارها، فلم يصف الرحلة وإلا الصحراء، بل رسم لوحته بإيجاز شديد دون تفصيل في جزئيات الوصف، وهذه السمة تتصف بها أغلب المقدمات الأندلسية.[3]

وتخلص ابن شهيد من التقاليد العامة المتمثلة بالوقوف على الأطلال التي عفت وغيّرها الزمن بفعل الأمطار والريّاح، وقد رأي النقاد في العصر الحديث التشابه والتأثير الكبير بين الشعراء والعصور المتباعدة بشيء من الدقة وجعله أسمي أنواع التأثر، ومن مظاهر التأثر الواضحة لدى الأندلسيين ما فعله العديد من شعراء الأندلس.

ثانيا: الموضوعات (موضوعات الرسائل الشعرية وأغراضها).

الشعر وسيلة تؤثر في الناس، لهذا اتخذه الشعراء كرسالة للتعبير بها عمّا يجوب في حياتهم المختلفة اجتماعيا، سياسيا، اقتصاديا وثقافيا، لهذا فالشعر لسان ناطق لما وقع. كما اعتبر الشعر

[1] معين خليف القرالة، تأثير مذهب الشعراء الأوائل في الخطاب الشعري الأندلسي في القرن 5 هجري، جامعة مؤتة، كلية الدراسات العليا في اللغة العربية، 2015، ص.72

[2] ابن شهيد الاندلسي، ديوانه ورسائله، جمع وتحقيق وشرح محي الدين ديب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ص.128

[3] ينظر معين خليف القرالة، تأثير مذهب الشعراء الأوائل في الخطاب الشعري الأندلسي في القرن 5 هجري. ص.75-76

وسيلة تعكس فكر الشاعر ورؤيته، فهو وثيقة يمكن من خلالها التعرف على أحوال الشاعر بالإضافة إلى تاريخه وثقافته وحياته الخاصة والعامة، وقد جعل الشاعر من قصيدته رسالة تحمل همومهم وقضاياهم وتطلعاتهم. فعندما تثير نفس الأندلسي في الفخر والحماسة عنها كحماسة المشرقيين وفخرهم وكذلك الغزل والمدح والهجاء والرثاء ويقوم هذا التأثر على القواعد الثابتة التي تفصل بين التقليد من جهة والمحاكاة والتأثر والتناص من جهة أخرى بكل موضوعات الشعر الأندلسي.[1]

1) الغـــــزل:

يعد موضوع الغزل من الموضوعات الشعرية التي تأثر بها الشعراء الأندلسيون بمذهب الأوائل من الشعراء المشارقة، فلقد استطاع الشاعر الأندلسي التعبير عما يدور في خلد الأندلسيين من مشاعر وعواطف تحاكي معاناتهم مع من يحبوه، ولقد جاء شعر الغزل الأندلسي في القرن الخامس الهجري يمثل اتجاهين مختلفين عن بعضهما وهما:

– الاتجاه المحافظ والاتجاه الآخر هو الغزل الحسي الماجن الذي يركز على وصف الجسد والتمتع به في ليالي السمر ومجالس الخمر.[2]

ومن ذلك الغرض –الغزل– ما وصلنا من شعر نساء الأندلس ومن ذلك قول أم الكرم بنت المعتصم بن صمادح، من شاعرات القرن الخامس الهجري، وكان أبوها ملكا على مدينة المرية متغزلة بالفتى المعروف بالشهار من مدينة دانية، وكان مشهورا بالجمال، وقد تغزلت فيه كثيرا، فقالت:[3]

يا معشرَ الناسِ أَلا فاِعجبوا ... مـمّـا جـنـتـهُ لوعـة الحـبِّ

لَولاه لَم ينزل ببدرِ الدجى ... مِـن أفـقـهِ الـعـلـويّ للتـربِ

حَـسـبـي بـمـن أهـواه لو أنّه ... فـارَقـنـي تـابـعـه قـلـبـي

[1] ينظر: سامي يوسف أبوزيد، الأدب الأندلسي، دار الميسر للطباعة والنشر، عمان، ط1، 2012، ص.27

[2] المرجع نفسه، ص.28

[3] ينظر صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.178

كما دعا لغرض الغزل في الأندلس الشاعر الربيع الموحدي إلى التغزل بجمال الطبيعة حيث يدمج مع الغزل الوصف فيقول:[1]

أَقول لركب أدلجوا بسحيرة قِفوا ساعة حَتّى أَزور رِكابها

وَأَملأ عَيني مِن مَحاسن وَجهِها وَأَشكو إِلَيها أَن أَطالَت عِتابها

2) الرثـــاء:

لما طمع أمير غرناطة الموحدي أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن في الظفر في حب حفصة الركونية هجاه حبيبها أبو جعفر بن سعيد مما حذا بالأمير إلى قتل أبي جعفر، فحزنت عليه حفصة حزنا شديدا وجاهرت برثائه والبكاء عليه ولبست الحداد عليه فهددها الأمير فكتبت تقول:[2]

هدّدوني من أجلِ لبس الحداد لحبيبٍ أردَوه لي بالحدادِ

رحمَ اللهَ مَن يجود بدمعٍ أَو ينوح على قتيل الأعادي

وَسقته بمثل جودٍ يديهِ حيث أضحى من البلاد الغوادي[3]

وكتب أبي البقاء الرندي في رثاء الممالك بالأندلس حيث قال فيها:

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمّ نُقصانُ فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إِنسانُ

هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ مَن سَرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ

وَهَذِهِ الدارُ لا تُبقي عَلى أَحَدٍ وَلا يَدُومُ عَلى حالٍ لَها شانُ[4]

ومن الموضوعات المشهورة في فن الترسل تلك الموضوعات والقضايا التي يكون للذات الشاعرة دور كبير فيها، ومن أهمها:

[1] محمد السروتي، وإكرام زعلوق، الشعر الأندلسي مميزاته وخصائصه، 2009، (تهميش المقالة).

[2] أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار الفكر، 1629، ص.148

[3] ينظر صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.179

[4] حنين شودب، أبرز شعراء الأندلس، موقع ديوان العرب، http.//stor.com.2019

3) طلب المودة والصداقة.

يعد هذا الموضوع لونا من ألوان الطلب لكنه طلب لتقريب القلوب، تمتين روابط المودة بين الأصدقاء والإخوان ومن هذا اللون من الطلب رسالة شعرية كتب بها أبو العلاء بن زهر إلى ابن عبدون يخطب فيها وده حيث يقول:[1]

نَصيبي مِنَ الدُنيا مَوَدَّةُ ماجِدٍ أَهيمُ بِهِ سِرّاً وَأَخدِمُهُ جَهرا
لَهُ الخَيرُ إِن يَأذَن أَقل غَيرَ عاذِلٍ وَإِن يَأبَ أسكُت عَنهُ لا طالِباً عذرا
خَطَبتُ إِلَيهِ مِن هَواهُ عَقيلَةً وَأعطيتُ مِن شُكري وَأَغلِ بِهِ مَهرا
فَإِن زَفَّها دوني إِلى كُلِّ خاطِبٍ فَلَم يَرَ مِثلي لا وَفاءً وَلا بَرّا[2]

وتكشف لنا هذه الرسالة عن سلوك رفيع كان الأندلسيون يتبعونه وهو طلب الصداقة والاستئذان.[3]

وابن شهيد واحد من الذين كتبوا في هذا الغرض وهو طلب المودة والصداقة، فقد كتب إلى أقرب أصدقائه "ابن حزم" الذي عاش معه في الدولة العامرية، وإذ مرض ابن شهيد كتب إلى ابن حزم أبياتا يذكر فيها أخوّته وصداقته فيقول:[4]

مقدمة { **من مبلغ عني ابن حزم وكان لي يدا في ملماتي وعند مضايقي**

الرسالة مرسل مرسل إليه

موضوع الرسالة {
عَليكَ سَلام الله إِني مُفَارق وَحَسبكَ زَادا مِن حَبيب مُفَارق
فَلَا تَنْس تَأبيني إِذَا مَا فَقدتني وَتَذكَار أَيامِي وَفضل خَلائقي
فَلي في ادكارِي بَعد مَوتي رَاحَة فَلا تَمنعُونيها عَلالة زَاهق

---

[1] المرجع نفسه.
[2] المرجع نفسه.
[3] المرجع نفسه.
[4] ابن بسام الشنتيري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عناس، ص.273

فأجاب ابن حزم فقال:

خاتمة { **أَبَا عَامِر نَادِيتُ خَلا مُصَافياً يُفدُيكَ مِنَ دَهم الخَطوبِ الطَوَارق**
وآلَمْت قلباً مخلصاً لَكَ ممحضاً بودك موصول العُرى والعَلائِق[1]

ومن أوثق العلاقات ما كان بينه وبين عبد العزيز بن أبي عامر، وقد مدحه بقصائد عدّة فقال:

هَاتِيك دارهم فقف بمغانيها تَجدُ الدَّموعَ تجدّ فِي هملانها[2]

4) الهجـــاء:

وقد اشتهر به عدد من شاعرات الأندلس منهن ولادة بنت المستكفي ونزهون بنت القلاعي ومهجة بنت الثياني القرطبية، فمن ذلك الأبيات التي ردّت بها نزهون على الشاعر أبي بكر المخزومي الأعمى حين هجاها قائلا:

على وجه نزهون من الحسن مسحة وإن كان قد أمسى من الضوء عاريا
قواصد نزهون توارك غيرها ومن قصد البحر استقلّ السّواقيا

فردت عليه قائلة:

إن كان ما قلت حقاً من نقض عهد كريم
فصار ذكرى ذميماً يعزى إلى كل لوم
وصرت أقبح شيء في صورة المخزوم[3]

ويظهر هذا الغرض عند المعتمد بن عبّاد حين خاطب ابنه "الراضي" بقصيدته التالية، وذلك حين تقاعس عن قيادة الجيش لمحاربة العدو، ورأى أن المطالعة والقراءة أفضل من القتال، الأمر الذي جعل المعتمد يطعن به ويهزأ منه بقوله:[4]

---

[1] ابن شهيد الأندلسي، ديوانه ورسائله، جمع وتحقيق وشرح محي الدين ديب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ص128.
[2] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.177
[3] المرجع نفسه، ص.177
[4] معين خليف القرالة، تأثير مذهب الشعراء الأوائل في الخطاب الشعري في الأندلس في القرن الخامس الهجري، إشراف الأستاذ الدكتور فاير عبد النبي القيسي، ص.60-61

الملكُ في طيّ الدَفاتِرْ فَتخلّ عَن قَود العَساكِرْ
طُف بِالسَرير مسلِّماً وارجع لِتَوديعِ المَنابِرْ
وازحَفْ إِلى جَيش المَعارِف تَقهَر الحِبرَ المُقامِرْ
أَوَ لَستَ رُسطاليس إِن ذُكِرَ الفَلاسِفَةُ الأَكابِرْ
وَكَذَلِكَ إِن ذُكر الخَليلُ فَأَنتَ نَحويّ وَشاعِرْ
هذه المَدام فَكن لها وَلكل مَنْ حَاباكَ شَاكِر
واقعُد فَإِنَّك طاعِمٌ كاسٍ وَقُل هَل مِن مُفاخِرْ؟

لقد أراد الشاعر أن يظهر المكارم التي يريدها من خلال الدعوة إلى السير للحرب والقيام بها، وترك الجلوس على الكتب والدواوين.[1]

واشتهر الشاعر أبوبكر ابن الحسن المرادي القروي بهذا النوع من الهجاء وتعرض للكثير ممن تجرأ عليه من الشعراء وغيرهم بالهجاء، ومن ذلك قوله يهجو أحد الشعراء حينما بلغه أنه هجاه بقوله:

تعْرضني كَلب بهجو مخذل كقيء السُكارَى أَو هُراء المبرسَم
فأنفذتُ مِن وقْتي إِليه سُحائباً مِن الصَفعْ يحدُو وفدهَا ابْن المقَدم
فحَامت عَليه كَالجَرَاد تَساقَطَت مِن الجو في أَنوْار روضَ معمم
وغَنى دَوي النِعلِ فِي صَحْن رَأسَه " ألا عِم صبَاحاً أيها الربع واسلم[2]"

5) المـــــدح:

لقد تأثرت قصيدة المدح الأندلسية في القرن الخامس الهجري بمعاني شعر الأوائل من المشارقة، وقد طغى شعر المديح في هذه الفترة للتنافس بين الملوك للمشاركة بالنهضة الأدبية والشعرية، ويظهر الباحث بصورة عامة أن قصيدة المدح قد غطت جميع جوانب شخصية الممدوحين، حيث يتغنى أصحابها ببطولات ممدوحيهم وأمجادهم في الحرب وكرمهم وسخائهم.

[1] المرجع السابق، ص.61
[2] المرجع نفسه، ص.65

ومن أمثلته قول الشاعرة قمر البغدادية في مدح مولاها إبراهيم بن حجاج اللخمي:[1]

ما في المَغاربِ مِن كريمٍ يُرتجى إلّا حليف الجودِ إبراهيمُ

إنّي حللتُ لديه منزل نعمةٍ كلّ المنازل ما عداه ذميمُ

ولابن زيدون مدائح تتصل بحياته السياسية، ففي البدء اتصل بأبي الحزم ابن جهور، ولم يلبث أن سجنه فأخذ يرسل إليه مدائحه مستعطفا كما في قصيدته التي ختم رسالته الجدية إذ يقول:[2]

أَيهذا الوَزيرُ، ها أنا أشْكو والعَصا بدء قُرعهَا للحَليم

ما عَناء أَن يألف السَابقُ المر بطَ في العَتق مِنه وَالتطْهيمُ

وبقَاء الحُسامُ في الجَفن يَثنى منه بَعد المضَاء والتَصْمِيم

أَقصير مَئين خَمسٌ مِن الأ يام؟ ناهِيك مِن عَذابٍ أليم!

ومَعيّ مِن الضّنِي بهنَات نَكأتِ بالكَلومَ قُرحٌ الكلُوم

نَارُ بغي سُرى إلى جَنة الأمـ ن لظاهَا فَأصبحَتْ كَالصَرِيم

بأبي أَنْت! إنْ تشأ تكُ بَردًا وَسَلامًا كَنارِ إبرَاهِيمْ [3]

ومن ممدوحيه المعتضد بن عباد وابنه المعتمد اللذين أحسنا رعايته ونال عندهما مكانة مرموقة، فكساهما بأجمل مدائحه التي اتسمت بصدق العاطفة.

6) الاستعطاف والشكوى:

كما أجاد ابن زيدون في أغراض شعرية أخرى كالاستعطاف والشكوى، ويأتيان في تضاعيف غزله ومدحه وقلما انفرد بهما في قصائد خاصة، في مثل قصيدته التي أرسلها إلى صديقه أبي حفص بن برد ومنها هذه المقطوعة:[4]

ما على ظني بأس يجرح الدهر ويأسو

---

[1] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.175

[2] سامي يوسف أبوزيد، الأدب الأندلسي، ص.204

[3] ابن زيدون، الديوان، ص.422

[4] صالح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.205

ربما أشرف بالمر ء على الآمال ياسُ
ولقد ينجيك إغفا لٌ ويرديك احتراسُ
والمحاذير سهام والمقاير قياس
ولكم أجدى قعودٌ ولكم أكدى التماسُ
وكذا الحكم إذا ما عزَّ ناسٌ ذلَّ ناسُ[1]

أحبتنا الأُلَى عَتَبُوا علينا فأقصَوْنا وقد أزِفَ الوَدَاعُ
لقد منتك لنا جَذَلاً وأُنْسَاً فما في العيش بعدكمُ انتفاعُ
أقول وقد صَدَرْنا بعد يومٍ أشَوْقٌ بالسفينة أم نزاعُ
إذا طارتْ بنا حامتْ عليكم كأن قلوبنا فيها شِراع

هذه مشاعر إنسان مخلص أبقى على الصداقة، لكن عتب على أصدقائه بسبب بعدهم عنه، إذ كان ابتعادهم لأسباب سياسية ومن العتاب ما تحول إلى اللوم الشديد.

وهذا ابن زيدون يكتب معاتبا ابن جهور وقد أطال في مدحه ثم عتب عليه لسجنه إياه يقول:

قُل لِلوَزيرِ وَقَد قَطَعتُ بِمَدحِهِ عمري فَكانَ السِجنُ مِنهُ ثَوابي
لَم تعد في أَمري الصَوابَ مُوَفَّقاً هَذا جَزاءُ الشاعِرِ الكَذّابِ[2]

ومما تجلى من صور التحسين ما ورد في الرد على الرسائل في رده على الشاعر ابن حمديس يقول في صورة المدح:

ولم تهدى غوى الروح منه إلى الأسى ولكن نفخت الروح في ساكن الرمس[3]

[1] ابن زيدون، الديوان، ص.194

[2] لبابة حسن، الوصف في الشعر الأندلسي، موقع ديوان العرب، 2019/03/28،

[3] ابن حمديس، الديوان، صححه وقدمه د: احسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص589.

7) الاستئذان:

يروى عن بثينة بنت المعتمد بن عباد أنها سبيت لما حلّت النكبة بأبيها وأخذه المرابطون أسيرا إلى سجن أغمات بمراكش، فأصبحت من جملة العبيد تباع في الأسواق فاشتراها رجل من إشبيلية ثم وهبها لابنه، ولكنه لما أراد الزواج منها امتنعت، وأعلنت عن نفسها وقالت له لا يكون ذلك إلا بموافقة أبي، ثم كتبت إلى أبيها تستأذنه قائلة:[1]

اِسمعْ كَلَامِي وَاسْتَمِعَ لمقَالَتي ... فَهي السُلُوكُ بَدْتْ مِن الأَجْيادِ
لا تُنْكُروا أَنِي سَبَيتُ وأَنني ... بِنْتُ لمِلكٍ مِنْ بَنِي عِبَادِ
مَلكٌ عَظِيمٍ قَدْ تَوَلى عَصْرهُ ... وكذا الزَمَانُ يَؤُولُ لِلإفسْادِ
لَمَا أَرَاد الله فَرقة شَمْلنَا ... وَأَذَاقَنا طَعْمَ الأَسَى مِن زَادِ
قَامَ النِفَاقُ عَلى أَبي فِي مُلكِه ... فَدنَا الفِراقُ ولَم يَكُنْ بمُرَادِ
فَخَرجْتُ هَارِبةً فَحَازَنِي امرؤ ... لَمْ يَأْتِ فِي إعْجَاله بِسَدَادِ
إِذِ بَاعَنِي بَيْعَ العَبِيدِ فَضَمَنِي ... مِنْ صَانَنِي إلا مِنَ الأَنْكَادِ
وَأَرَادَنِي لنكَاح نَجلٍ طَاهرٍ ... حُسنُ الخَلائِق مِن بَنِي الأَنجَادِ
وَمضَى إِليكَ يَسُومُ رَأيَكَ فِي الرِضَا ... وَلأَنْتَ تَنْظر فِي طَرِيق رَشَادِي
فَعَسَاكَ يَا أَبَتِي تَعْرّفني ... بِه إنْ كَان مِمَنْ يَرتَجِى لِوِدَادِ
وَعَسَى رَمِيكية المُلوكِ بِفَضلِهَا ... تَدْعُو لَنَا بِاليَمَنِ وَالإسْعَادِ[2]

وعندما وصلت الأبيات إلى أبيها وهو في المنفى بأغمات سرّ هو وأمها سرورا عظيما حين عرفا أن ابنتهما ما زالت حية، فكتب إليها هذا البيت يبارك لها فيه زواجها فقال:

بُنَيَّتِي كوني به بَرَّةً ... فقدْ قَضَى الدهر إسعافه[3]

[1] صالح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.181

[2] يوسف عبدو ويوسف فرحات، معجم الحضارة الأندلسية، دار الفكر العربي، لبنان، ط1، 2000، ص.93

[3] المرجع نفسه، ص.93

وهناك أغراض أخرى في الرسائل الشعرية كالمجاوبات والشكر على الهدايا والشكوى من الشيب والعنوسة والردّ على الراغبين بالزواج منهم، وخاصة إذا كانوا من كبار السّن، وغير ذلك ومن الأمثلة على هذه الأغراض قول مريم بنت أبي يعقوب الشلبي وقد كبرت.

ومَا يُرتَجى مِن بِنْت سَبعِين حَجة وَسَبْع كَنَسجِ العَنكَبُوتْ المُهَلْهِل؟

تَدُبُ دَبِيبَ الطِفْلِ يَسْعَى إِلى العَصَا وَتَمْشِي بِهَا مَشْي الأَسِيرْ المُكَبَلْ

أما عائشة بنت أحمد القرطبية فقد طلب منها أحد الشعراء يدها فلم ترضى فألح في الطلب فكتبت إليه تقول:

أَنَا لَبوة لَكِنَنِي لَا أَرْتضِي نَفْسِي مُنَاخا طُولَ دَهْرِي مِنْ أَحَدٍ

ولَو أَنَنِي أَخْتَارُ ذَلِكَ لَمْ أُحِبَ كلباً وَلا أَغْلَقْتُ سَمعِي عَنْ أَسَدٍ[1]

وإذا أمعنا النظر في الإنتاجات الشعرية الأندلسية سنجد فيها كمّا هائلا من الأشعار التي نظمتها المرأة الأندلسية، حتّى إنها خاضت في أغراض كالتي خاض فيها الرجل: كالهجاء والزهد والمجون وكذلك الغزل، وقد كان لمجالس الأنس الدور الكبير في تنوع أغراض الرسائل الشعرية الأندلسية.

ثالثا: الصورة الشعرية في الرسائل الأندلسية.

1. الصورة الشعرية:

حظيت الصورة الشعرية عند القدماء بالاهتمام والتحليل. وقد أكد الناقد إحسان عباس أن الشعراء قد استخدموا الصورة الشعرية منذ القدم، ويرى أن استخدامها يختلف من شاعر إلى آخر كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصورة.

[1] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.180.

وللصورة الشعرية عناصر تتكون منها تتمثل في: اللغة والموسيقى، وتشتمل عليه من وزن وقافية وإيقاع وإيحاء، وتتمثل كذلك في الخواطر والأحاسيس والعواطف. ومن أشكال الصورة الشعرية: التشبيه، الاستعارة المجاز، الكناية، ومن المحسنات البديعية: الطباق، الجناس، المقابلة، ...[1]

لقد حفلت قصيدة ابن زيدون بالصور الشعرية المختلفة تلقائيا، وكانت له وظائف أساسية تعريز مقاصد الشاعر والتعبير عن أحاسيسه، وتعميق معانيه، ولم يكن القصد منه تزيين القصيدة وحسب، فالشاعر كان في حالة بالغة من الحزن لا تحتمل المبالغة في الزينة اللفظية للقصيدة وحسب بل كان يريد أن يستعين بإيقاع هذا التجانس الصوتي على التعبير عن عمق أحزانه ومبلغ مأساته فقد أضفت هذه التجانسات كما اضفى الوزن والقافية إيقاعات حزينة على القصيدة.[2]

وقد استخدم شعراء الأندلس في رسائلهم صورا مختلفة من التجانس الصوتي، ومن بينهم ابن زيدون الذي اعتمد على هذه الصور ومنها:

أ. التكـــرار: استعمل ابن زيدون التكرار في بعض الكلمات في البيت الواحد أو في بيتين متجاورين مثل كلمة "أعادي" في قولة:

يا لَيتَ شِعري وَلَم نُعتِب أَعادِيَكُم هَل نالَ حَظّاً مِنَ العُتبى أَعادينا

ومثل كلمة (ما كان) في قوله:

فَانحَلَّ ما كانَ مَعقوداً بِأَنفُسِنا وَانبَتَّ ما كانَ مَوصولاً بِأَيدينا[3]

وكلمة اليأس في قوله:

كُنّا نَرى اليَأسَ تُسلينا عَوارِضُهُ وَقَد يَئِسنا فَما لِليَأسِ يُغرينا

وكلمتي (يبلى ويبلينا) في قوله:

---

[1] مريم غياضة، مفهوم الصورة الشعرية لغة واصطلاحا، موقع: http://mawdoo3.com ، 25 أفريل 2018. تاريخ الزيارة: 23 جوان 2020

[2] اصلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.78

[3] المرجع نفسه، ص.78-79

مَن مُبلِغُ المُلبِسينا بِانتِزاحِهِمُ حُزناً مَعَ الدَهرِ لا يَبلى وَيُبلينا

وفي كلمة (نأي) في قوله:

لا تَحسَبوا نَأيَكُم عَنّا يُغَيِّرُنا أَن طالَما غَيَّرَ النَأيُ المُحِبّينا[1]

ومن هذا يمكن القول إن استخدام ابن زيدون لهذه الصورة من التجانس الصوتي ما هو إلا دليل على قدرته الإبداعية للتعبير عن معاني عميقة في نفسه.

ب. الجنـــاس: وظف الشعراء المترسلون هذا اللون من البديع لإحداثه إيقاع موسيقي وصوت رنان لكي يضيف رونقا جميلا على الألفاظ ويحدث إيقاعا موسيقيا عذبا وبالتالي إضافة تأثير في المتلقي وتأثره به. فالجناس هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى.[2]

ونجد أن ابن زيدون قد وظف هذا اللون البديعي في قصيدته "أضحى التنائي" ليعطي جرسا موسيقيا جميلا لجذب القارئ أو المتلقي لرسالته فتولد له الرغبة في مواصلة القراءة، وبالتالي فإن ابن زيدون وغيره من الشعراء قد أولوه عناية خاصة ووظفوه في قصائدهم المختلفة.[3]

فابن زيدون وظف الجناس بنوعيه في قصيدته، حيث نجد ذلك في قوله:

أَضحى التَنائي بَديلاً مِن تَدانينا وَنابَ عَن طيبِ لُقيانا تَجافينا

فالجناس ناقص في قوله: (تدانينا، تجافينا)

ونجده كذلك في كلمتي: (بين، حين) في قوله:

أَلّا وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ صَبَّحَنا حَينٌ فَقامَ بِنا لِلحَينِ ناعينا

ونجده أيضا في كلمتي: (تقرّوا، تسرّوا) في قوله:[4]

---

[1] سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، ص.269

[2] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، توثيق يوسف الصهيلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 2003، ص.325

[3] ينظر: مصطفى عناني، المكنون من الرسالة الجدية لابن زيدون، مصر، 1927، ط3، ص.39

[4] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.81

ما حَقَّنا أَن تُقِرّوا عَينَ ذي حَسَدٍ بِنا وَلا أَن تَسُرّوا كاشِحاً فينا

وقد وظف ابن زيدون هذه الأسجاع ليزيد قصيدته إيقاعا وجمالا وعذوبة.

كما وظف ابن خفاجة هذا اللون البديعي في قصيدته "وصف الجبل" وذلك في قوله:[1]

فما كان إلا أن طوتهم يد الردى وطارت بهم ريحُ النوى والنوائبِ

فالجناس الناقص يكمن في: (النوى، النوائب) والذي أفاد به معنى الزوال والفناء والتشتت. ولذا فإن توظيف الجناس يسهم في إثراء المعاني ومنح الألفاظ رنينا موسيقيا جميلا.

ج. **الطبـــاق:** يلعب الطباق دورا مهما، فهو يقوم بما يقوم به الجناس أي أنه يجمع بين الشيء وضده[2]، ويعرّفه عبد القاهر الجرجاني فيقول بأنه: "نوع من أنواع البديع، ولا تنحصر قيمة الأضداد في جانب الدلالة المفردة في الكشف عن القدرة اللغوية، فإنها تتعدى إلى إظهار الأبعاد النفسية المتوترة وتطويرها في أدق حالاتها ..." هذا يعني أن توظيف الطباق عند الشاعر يكون على حسب حالته النفسية.[3]

وقد اهتم الكثير من الشعراء المترسلين بهذا المحسن البديعي ومن بينهم ابن زيدون خاصة في قصيدته "أضحى التنائي" وقد احتوت على الطباق بنوعية إيجابي وسلبي ومنه نذكر: يضحكنا ≠ يبكينا، وكذلك في ثنائية القرب والبعد وهي ثنائية مكانية، وثنائية بنتم ≠ وبنا، وابتلت ≠ جفّت التي تدل على الفراق بين الشاعر ومحبوبته. وكل هذه الثنائيات تدل على طباق الإيجاب.

كما طابق ابن زيدون في قصيدته بين ""الدنيا" و "الآخرة" وهي موقف الحشر وهي ثنائية مكانية وزمانية معا تدلّ على يأس الشاعر من لقاء محبوبته في الدنيا وأمله أن يلقاها في الجنة يقول:

يا جَنَّةَ الخُلدِ أُبدِلنا بِسِدرَتِها وَالكَوثَرِ العَذبِ زَقّوماً وَغِسلينا

---

[1] سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، ص.276

[2] أبو هلال العسكري بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: مفيدة قمحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص.339

[3] عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، (د.ط)، ص.108

فقد طابق بين ""الجنة" التي تمثلتها سدرتها وكوثر العذب، و"النار" التي تمثلت في الزقوم والغسلين، وهي مطابقة على ما آلت إليه الحال إثر الفراق عن ولادة، فقد كانت جنته أيام الوصال وأصبحت الحياة من دونها جحيما والأمثلة في ذلك كثيرة، والإسراف في هذه الثنائيات الضدية يدلنا إلى أي مدى وقع ابن زيدون تحت وطأة الفراق والآثار التي تركتها هذه التحولات.[1]

كما نجد كذلك توظيف ابن زيدون للطباق في قصيدته التي أرسلها إلى صديقه أبي حفص بن برد يقول:[2]

وَكَذا الدَهرُ إذا ما عَزَّ ناسٌ ذَلَّ ناسُ

فالطباق يكمن في: عزّ ≠ ذلّ

كما وظفه ابن شهيد ونلتمسه في رسالته التي كتبها إلى ابن حمود وألحقها بقصيدة في الشكوى إذ يقول:[3]

مُقِيم بُدار سَاكنوها مِن الأذَى قِيام عَلى جمر الحُمام قُعُود

فالطباق بين كلمتي: قيام ≠ قعود

ونجد أيضا توظيف ولادة بنت المستكفي لطباق السلب في قولها:[4]

وتَركت غَصنا مثْمِرا بجمَاله وجنحَتُ للغُصْن الذِي لم يثْمر

طباق السلب بين: مثمر ≠ لم يثمر

كما وظف ابن زيدون المقابلة في قوله:

حالَت لِفَقدِكُمُ أَيّامُنا فَغَدَت سوداً وَكانَت بِكُم بيضاً لَيالينا

[1] سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، ص.261-262
[2] المرجع نفسه، ص.205
[3] المرجع نفسه، ص.191
[4] المرجع نفسه، ص.238

فالمقابلة واضحة بين "الأيام السود" "والليالي البيض" وتدل على تحول أوقات الهناء والسرور إلى أوقات الأحزان والهموم.[1]

وفي الأخير نصل إلى أن الشعراء المترسلون قد وظفوا هذه المحسنات البديعية وفقا لما يخدم رسائلهم وأغراضها وذلك لخلق انسجام وتناسق بين الجمل والفقرات لأجل تبسيطها للقارئ وكذلك لإحداث جرس موسيقي جميل للتأثير فيه.

2- الصور البيانية:

اهتم الشعراء المترسلون بتوظيف الصور البيانية في رسائلهم الشعرية وذلك لدلالتها على الحركة، بالإضافة إلى أنهم يضيفون معاني أخرى للمعاني الأصلية التي يرغبون في إيصالها للمتلقي وهذا ما يدعى بالقرينة أي لا بد من وجود علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي بشرط ألا يكون هناك تشابه بين الألفاظ ومنها:

أ. الاستعـــــارة:

أحد فنون البلاغة يعرفها الإمام فخر الدين بأنها: "ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره لأجل المبالغة والتشبيه"[2]

وتعرّف الاستعارة كذلك بمقتضى تركيبها النحوي والدلالي بأنها: "اختيار معجمي تقترن بمقتضاه كلمتان في مركب لفظي، اقترانا دلاليا ينطوي على تعارض أو عدم انسجام منطقي ويتولد عنه بالضرورة مفارقة دلالية تثير المتلقي شعورا بالدهشة والطرافة، وتكمن علة الدهشة والطرافة فيما تحدثه المفارقة الدلالية من مفاجأة للمتلقي بمخالفتها الاختيار المنطقي للواقع.[3]

وقد برع الشعراء المترسلون في توظيف الاستعارة خاصة ابن زيدون الذي راح يعرضها في مواضع عدة من رسائله الشعرية خاصة في قصيدة "أضحى التنائي" وأظهرها ما جاء منها في قوله:[4]

---

[1] سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، ص.261-262

[2] خليل بن ابيك الصفدي، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، دار المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1969، ص.288

[3] يوسف أبو العدس، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2007، ص.139

[4] ينظر سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، ص.265

غيظَ العِدا مِن تَساقينا الهَوى فَدَعَوا بِأَن نَغَصَّ فَقالَ الدَهرُ آمينا

نَكادُ حينَ تُناجيكُم ضَمائِرُنا يَقضي عَلَينا الأَسى لَولا تَأَسّينا[1]

وفي هذين البيتين استعارة مكنية، إذ شخّص الضمائر في الناس الذين يتناجون.

كما وظف ابن زيدون الاستعارة التصريحية في قوله:[2]

يا جَنَّةَ الخُلدِ أُبدِلنا بِسِدرَتِها وَالكَوثَرِ العَذبِ زَقّوماً وَغِسلينا

فقد شبّه ولادة بالجنة بسدرتها وكوثرها، وحذف المشبه (ولاّدة)، كما شبّه حياته بالنار بزقومها وغسلينها على سبيل الاستعارة التصريحية.

كما برع المعتمد بن العباد أيضا في توظيف الاستعارة في مقطوعاته الشعرية خاصة التي كانت في وصف زوجته اعتماد الرميكية مشبها إياها بالظبي تارة، وبالبدر تارة أخرى إذ يقول:[3]

أاهجر ظبيا فِي ضُلوعِي كُناسه وَبدر تمَام فِي جُفونِي مُطالعه

حيث نجده في صدر البيت يشبه زوجته بالظبي –ذكر المشبه به وهو الظبي وحذف المشبه وهو الزوجة على سبيل الاستعارة التصريحية.

كما أجادت ولادة بنت المستكفي توظيف الاستعارة والتي تغزلت بابن زيدون فكتبت إليه تقول:[4]

ترقّب إذا جنّ الظلام زيارتي فإنّي رأيت الليل أكتم للسرّ

حيث جعلت الليل مشبه، والإنسان الوفيّ المخلص الصدوق مشبه به محذوف وتركت لازمة من لوازمه دالة عليه وهي كتمان السر على سبيل الاستعارة المكنية.

وهكذا فإن الاستعارة تعمل على إيصال المعنى وتوضيح الصورة وإبراز جمالياتها.

---

[1] ابن زيدون، الديوان، ص.51

[2] المرجع نفسه، ص.52

[3] سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، ص.222

[4] المرجع نفسه، ص.238

ب. الكنـــاية:

تعدّ الكناية من الأساليب البلاغية التي يعدل فيها الأديب عن التصريح بما يريد فيلجأ إلى تركيب يدل عليه وقد عمد الشعراء المترسلون إلى توظيفها وبرعوا في ذلك أيما براعة.

ومن بين الشعراء الذين وظفوها في مواضع عديدة ابن زيدون في قصيدته "أضحى التنائي" الذي كان كثيرا ما يميل عن تقرير الأشياء وفهمها إلى تصويرها وتمثيلها إذ نجده يقول:[1]

حالَت لِفَقدِكُمُ أَيّامُنا فَغَدَت سوداً وَكانَت بِكُم بيضاً لَيالينا

فالأيام السود كناية عن الشقاء، والليالي البيض كناية عن الهناء والسرور والسعادة.

وفي قوله:[2]

بِنتُم وَبِنّا فَما اِبتَلَّت جَوانِحُنا شَوقاً إِلَيكُم وَلا جَفَّت مَآقينا

تظهر هنا كنايتين:

الأولى: ما ابتلت جوانحنا، كناية عن الحرمان من الراحة والاستقرار.

الثانية: ولا جفت مآقينا، كناية عن الأسى والحزن الذي أصاب ابن زيدون.

وقوله أيضا:[3]

وَفي الجَوابِ مَتاعٌ إِن شَفَعتِ بِهِ بيضَ الأَيادي الَّتي ما زِلتِ تولينا

فالأيادي البيض كناية عن الأيدي الكريمة الحسنة التي تبذل المعروف.[4]

ج. التنـــاص:

يعتبر التناص من الظواهر اللغوية التي تعددت دلالاتها ومفاهيمها، وذلك راجع إلى تعدد وجهات النظر حولها، ومحاولة إعطائها تعريفا محددا، فقد وقف العرب القدامى عند هذا المصطلح بعدة مفاهيم منها السرقات الأدبية، توارد الأفكار، الانتحال.

---

[1] ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله، ص.51

[2] المرجع نفسه، ص.51

[3] المرجع نفسه، ص.52

[4] سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، ص.267

أما عند الغرب فقد ظهر التناص عند جوليا كرستيفا وهو: "الحضور الفعلي لنص في آخر"[1]،كما عرّفه رولاند بارت بأنه:" نسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة، إن الكاتب لا يمكنه إلا أن يقلد فعلا هو دوما متقدما عليه".[2]

إن التناص هو أخذ اللفظ أو المعنى إلى آخر ومن عمل إلى آخر مع اختلاف المقاصد والغايات، فالمبدع لا يبدع من فراغ بل يستند في إبداعه إلى موروث ثقافي يؤثر فيه، ويتأثر به، وعلى هذا فالنص مرآة لنصوص أخرى موّنته وشكلته لتخرجه إخراجا جديدا، فكل نص هو: "تشرب وتحويل لنص آخر"[3]

ويرى النقاد عند استقرائهم لقصيدة ابن زيدون "أضحى التنائي" ودراسة ألفاظها وجدوا أنه استعار كثيرا من معاني الأقدمين من الشعراء، والبحتري على وجه الخصوص، حتى لقب ابن زيدون "بحتري الغرب" وهذا ما أطلقه عليه صلاح الدين الصفدي، وذلك لحسن ديباجته، وسهولة معانيه.[4]

ونجد الكاتب صلاح جرار قد وقف على التناص في قصيدة ابن زيدون ووجد تشابها بينها وبين قصيدتين للبحتري، الأولى في رثاء الخليفة العباسي، ومدح خليفته أبي العباس المعتضد بن الموفق[5] فبالإضافة إلى التشابه بين الوزن والقافية، فإننا نجد عددا كبيرا من الألفاظ المشتركة وعددا من المعاني وخاصة في موقف الشاعرين من الدهر، فالبحتري يقول:

نَرُوضُ أَنْفُسَنَا أَقْصَى رِيَاضَتِها عَلَى مُوَاتَاةِ دَهْرٍ لا يُوَاتِينَا[6]

وابن زيدون يقول:

غيظَ العِدا مِن تَساقينا الهَوى فَدَعَوا بِأَن نَغَصَّ فَقالَ الدَهرُ آمينا[7]

---

[1] عصام حفظ الله حسين واصل، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، أحمد العواضي أنموذجا، دار عيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص.17

[2] رولان بارت، نقد وحقيقة، ت. منذر عياش، مركز الانماء الحضاري، ط1، 1994، ص21

[3] جوليا كريستسيفا، علم النص، ت. فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1،1991،ص79

[4] سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، ص.272

[5] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص.84

[6] البحتري، الديوان عني تحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، 1964/1963، ص.118

[7] ابن زيدون، الديوان ورسائله، ص.51

فموقف الشاعرين من الدهر واحد، وموقف الدهر من الشاعرين في القصيدتين واحد أيضا.

ولم يقتصر تأثر ابن زيدون في هذه القصيدة بقصيدتي البحتري، بل يستطيع الباحث أن يقف على صور من التشابه بين بعض معاني القصيدة ومعاني لشعراء سابقين وخاصة شعراء العشق مثل مجنون ليلى، وجميل بثينة وكثير عزة وغيرهم، ومن أمثلة ذلك قول ابن زيدون:

وَقَد نَكونُ وَما يُخشى تَفَرُّقُنا فَاليَومَ نَحنُ وَما يُرجى تَلاقينا[1]

وهو يشبه قول مجنون ليلى في:

وَقَد يَجمَعُ اللهُ الشَتيتَينِ بَعدَما يَظُنّانِ كُلَّ الظَنِّ أَن لا تَلاقِيا[2]

كما نجد أيضا التناص الديني خاصة مع القرآن الكريم وذلك وارد في قصيدة ابن زيدون التي أرسل بها إلى ولادة بنت المستكفي.

والتناص مع القرآن الكريم يعني: "التفاعل مع مضامينه وأشكاله تركيبيا ودلاليا، وتوظيفها في النصوص الأدبية بواسطة آلية من آليات شتى، ويعدّ هذا النوع جزءا مما يسمّى بالتفاعل مع التراث الديني بأنماطه المتعددة"[3]

إذا التناص مع القرآن الكريم هو توظيف آليات القرآن واستخدام النصوص القرآنية في النصوص الأدبية.

وهذا ما استخدمه ابن زيدون في قصيدته، بتوظيفه العبارات التي استمدها من آيات القرآن الكريم وتحيلنا إلى بعض منها وهذا في قوله:[4]

وَإِذ هَصَرنا فُنونَ الوَصلِ دانِيَةً قِطافُها فَجَنَينا مِنهُ ما شينا

[1] المرجع السابق، ص.51

[2] مجنون ليلى، الديوان، شرح الدكتور يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992، ص.203

[3] عصام حفظ الله حسنين واصل، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، ص.39

[4] ابن زيدون، الديوان ورسائله، شرح وتحقيق الأستاذ علي عبد العظيم، ص.51

فهو يجعل الوصل حقل ثمار يجني منه ما يشاء وذلك إحالة إلى قوله تعالى: "**فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿22﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿23﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿24﴾**" [1]

وقول الشاعر أيضا:[2]

لِيُسقَ عَهدُكُمُ عَهدُ السُرورِ فَما كُنتُم لِأَرواحِنا إِلّا رَياحينا

تحيلنا إلى قوله تعالى: "**فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿89﴾**" [3]

ويقول ابن زيدون أيضا: [4]

رَبيبُ مُلكٍ كَأَنَّ اللهَ أَنشَأَه مِسكاً وَقَدَّرَ إِنشاءَ الوَرى طينا

فهذا البيت يحيلنا إلى قوله تعالى: "**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿11﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿12﴾**" [5]

ونستنتج من كل هذه التناصات ما كان عليه الشاعر المترسل ابن زيدون من حفظ لآيات القرآن الكريم ونصوصه، وهذا ما زاده بلاغة وفصاحة وتأثيرا في المتلقي.

ويمكن القول في نهاية هذا الفصل أن الشعراء المترسلون قد أحسنوا التوظيف الشعري فجاءت قصائدهم مفعمة بالتصوير الشعري، وهذا يعكس قدرتهم الإبداعية والفنية والجمالية التي كشفت لنا عن جماليات فن الترسل في الشعر الاندلسي وخاصة من حيث البناء والموضوعات، كما أضافت الصورة الفنية لهذه الرسائل بلاغة وفصاحة الشعراء في تلك الحقبة.

[1] سورة الحاقة، الآيات 22، 23، 24.
[2] ابن زيدون، الديوان ورسائله، ص.51
[3] سورة الواقعة، الآية 89.
[4] ابن زيدون، الديوان ورسائله، ص.52
[5] سورة الأعراف، الآيتان 11 و12.

خـــاتـــمـــــة

لا يمكن القول إن البحث قد بلغ غايته، بل إن ما توصل إليه من النتائج الجزئية يمكن اعتبارها نقاط بداية من أجل بحوث أكثر توغلا وعمقا. فبناء على دراستنا لجماليات فن الترسل في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري توصلنا إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- الشعر رسالة تعبر عن المواقف والآراء والأفكار وليس فقط كلام موزون مقفى.
- الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري سجل حافل بمظاهر الحياة الأندلسية.
- ازدهار الشعر عامة وفن الترسل خاصة في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري.
- مساهمة فن الرسالة في بعث الشعر الأندلسي.
- اشتملت الرسائل الشعرية الأندلسية على هيكل الرسالة النثرية.
- الرسائل الشعرية في القرن الخامس الهجري نموذج لفن راقي نافس الشعر في جلّ أغراضه.
- زخرت الرسائل الشعرية بالعديد من الصور البيانية التي عكست جمالياتها وبلاغة الشعراء وقدرتهم البلاغية والإبداعية.
- اهتمام الشعراء المترسلون بالمحسنات البديعية والإبداع في توظيفها مما زاد رسائلهم قوة الدلالة وإعطائها جرسا موسيقيا مميزا.
- إن توظيف الشعراء الاندلسيين للتناص من القرآن الكريم دليل على ثقافتهم الدينية.

قـــائـمـــــة

المصـادر والمراجـع

- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع، بيت القرآن، حمص، سوريا، ط1، 1433هـ/2012م.

- **المصـــــادر:**

1. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار الفكر الأندلسي، 1929.
2. البحتري، الديوان، حسين كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، 1993-1994.
3. أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
4. ابن خفاجة، الديوان، تحقيق عبد الله سندي، دار القلم، بيروت، لبنان.
5. ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، دار العلم للجميع، بيروت، ط.1، دت.
6. ابن زيدون ورسائله، الديوان ورسائله، شرح وتحقيق الأستاذ علي عبد العظيم، منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004.
7. ابن زيدون، ديوان عبد المجيد بن عبدون البابري (الشعر والنثر) مع دراسة لأدبه، دار الكتاب العربي، دمشق، ط.1، 1988.
8. ابن شهيد الأندلسي، ديوانه ورسائله، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط.1، 1997.
9. أبو عبادة البحتري، الديوان، الوليد بن عبيد بن يحي، دار المعارف، مصر، 1963-1964.
10. عبد الرحمن بن محمد ولي الدين الحضرمي الأشبيلي (ابن خلدون)، المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط.1، 2004.
11. ابن عبدون، ديوان ابن عبد المجيد بن عبدون البابري (الشعر والنثر في دراسة لأدبه)، دار الكتاب العربي، دمشق، ط.1، 1988.
12. ابن منظور، لسان العرب، مجلد 11، بيروت، حرف اللام.
13. عبد الله بن محمد بن عبد الله القضاعي (ابن الآبار)، الحلة السيراء، جامعة تكريت، ط.3 ، دار المعارف، بيروت، 2013.
14. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت.
15. عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي، ابن الأثير، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، د.ط، 1982.
16. أبو الفضل جمال الدين مكرم، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة، بيروت، لبنان، ط.1، 1997.
17. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، د.ط، 1992.
18. مجنون ليلى، الديوان، يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.1، 1992.
19. محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، قسم المعاجم والقواميس، لبنان.

▪ المـــراجـــــع:

1. ابتسام علي دهينة، التصوير الفني في شعر أبي الصلت، بسكرة، مركز الكتاب الأكاديمي، بسكرة، ط.1، 2018.

2. ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، مصر، ط5، 1989.

3. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج.1، د.ط، د.ت.

4. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 2003.

5. جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة الهلال، د.ط، 1930.

6. خالد لفته باقر، مبنى قصيدة وصف الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلسي، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2016.

7. خليل بن أبيك الصفدي، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، دار المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، 1969

8. صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، جامعة الأردن، دار المسيرة، ط.1، 2007.

9. الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1993،

10. عصام حفظ الله حسين واصل، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، أحمد العواضي أنموذجا، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط.1، 2011.

11. عبد الإله كليل، فن الترسل –النشأة والتطور، نور للنشر، ط1، 2017.

12. عباس إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، بيروت، ط.2، 1971.

13. علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، د.ط، 1981.

14. عمر عروة، النثر الفني القديم، دار القصبة للنشر، د.ط، د.ت.

15. سارة البربوشي، الترسل الأدبي بين النشأة والتطور، 2016.

16. سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلسي، دار الميسر للطباعة والنشر، عمان، ط.1، 2012.

17. سليم حمدان، أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، إشراف الدكتور محمد بوعمامة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008

18. سعاد عبد الله أبو ركب، الرسائل الشعرية في الأندلس في القرن الخامس هجري، جامعة مؤتة، 2005.

19. فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار النشر، ط.1، 1989.

20. لبابة حسن، الوصف في الشعر الأندلسي، ديوان العرب، 2019.

21. محمد السروتي، وإكرام زعلوق، الشعر الأندلسي مميزاته وخصائصه، 2009.

22. مصطفى عناني، اظهار المكنون من الرسالة الجدية لابن زيدون، مطبعة الرحمانية، مصر، ط3، 1927.

23. أبو هلال العسكري بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.2، 1989.

24. معين خليف القرالة، تأثير مذهب الشعراء الأوائل في الخطاب الشعري الأندلسي في القرن الخامس الهجري، جامعة مؤتة، 2015.

25. يوسف أبو العدس، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، دار المسيرة عمان، ط.1، 2007.

- **المـــراجـع المترجمـــة:**

1. جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 1991

2. رولاند بارت، نقد وحقيقة، ترجمة منذر عياش، مركز الإنماء الحضاري، ط.1، 1994.

- **المـــواقـــــع:**

1. حنين شودب، أبرز شعراء الأندلس، ديوان العرب، 2019. http://stor.com

2. مريم عياضة، مفهوم الصورة الشعرية لغة واصطلاحا، 2018. http://mawdoo3.com

- **المجـــلات والبحـــــوث:**

1. آمنة الدهري، الترسل الأدبي بالمغرب، النص والخطاب، المحمدية، المغرب، ط.1، 2003

2. نجاة غقالي، قراءة سيميائية لرسالة ابن خلدون المغربي، جامعة جيجل.

3. عبد المجيد الكاتب، فن الترسل (دراسة تحليلية)، المجلة العربية، جامعة داكا، 2018.

فهرس المحتويات

الموضوع	صفحة
- شكر وعرفان	
- مقدمة	أ-ب
الفصـــل الأول	
ماهية ونشأة فن الترسل في الأدب العربي وبداياته في الشعر الأندلسي	
أولا: مفهوم الترسل	4
ثانيا: نشأة فن الترسل وتطوره	9
1. نشأته	9
2. تطور أدب الرسائل	10
ثالثا: الرسالة وخصائصها البنائية	15
رابعا: بدايات فن الترسل في الشعر الأندلسي	17
خامسا: عناصر الرسالة	19
سادسا: موضوعات فن الترسل	23
الفصـــل الثـــاني	
جمالية الصورة في شعر الترسل الأندلسي	
أولا: بناء الرسال (هيكلتها)	28
ثانيا: الموضوعات (موضوعات الرسائل الشعرية وأغراضها)	36
1. الغزل	37
2. الرثاء	38
3. طلب المودة والصداقة	39
4. الهجاء	40
5. المدح	41
6. الاستعطاف والشكوى	42
7. الاستئذان	44

ثالثا: الصورة الشعرية في الرسائل الأندلسية 45
1. الصورة الشعرية 45
2. الصورة البيانية 50
- خاتمة 57
- المصادر والراجع 59
- فهس المحتويات .....

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد صل الله عليه وسلم ... وبعد:

ملخص:

جاء هذا البحث تحت عنوان: جمالية فن الترسل في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري، وقسم هذا البحث إلى فصلين تسبقهما مقدمة ويختتمان بخاتمة وفهرس. وحددنا في المقدمة موضوع البحث والأسباب التي أدت إلى وقوع الاختيار عليه، وخطة البحث ومنهجه. وفي الفصل الأول تم تحديد ماهية الترسل، ونشأته وتطوره، مفهوم الرسالة وخصائصها البنائية، كما تكلمنا من بدايات فن الترسل في الشعر الأندلسي وأهم موضوعاته.

أما الفصل الثاني، فقد تناولنا جماليات الصورة الشعرية في شعر الترسل الأندلسي، وقد تفرع هو الآخر إلى عدة عناصر منها: بناء الرسالة وموضوعاتها والصورة الشعرية في الرسائل الأندلسية، وقد ختمنا بحثنا هذا بخاتمة لخصنا فيها ما جاء في البحث، وبيّنا أهم النتائج وكانت هذه الدراسة كهدف إلى تسليط الضوء على أن الشعر رسالة تعبر عن مواقف وآراء وأفكار الشاعر وأحاسيسه، وعن مظاهر الحياة الأندلسية في القرن الخامس الهجري.

Résumé :

Ce travail porte le titre: « L'esthétique de l'art épistolaire dans la poésie andalouse au V^{e} siècle de l'Hégire. Cette recherche a été divisée en deux chapitres précédés d'une introduction et se terminant par une conclusion et un index. Dans l'introduction, nous avons présenté le sujet de la recherche, les raisons qui ont conduit à sa sélection, ainsi que le plan et la méthode de recherche. Dans le premier chapitre, a été défini l'art épistolaire, son origine et son développement, le concept de la missive et ses caractéristiques structurelles, ont été définis, alors que nous avons parlé des débuts de l'art de la correspondance dans la poésie andalouse et de ses sujets les plus importants.

Quant au deuxième chapitre, nous avons traité de l'esthétique de l'image poétique dans la poésie épistolaire andalouse, et il s'est également ramifié en plusieurs éléments, dont: la structure du la missive et ses thèmes et l'image poétique dans les épîtres andalouses. Afin de souligner que la poésie est un message qui exprime les positions, les opinions, les idées et les sentiments du poète, et les aspects de la vie andalouse au cinquième siècle de l'Hégire.